بناء العقل الجمعي في ضوء فلسفة التربية القرآنية وبعض تطبيقاته التربوية المعاصرة

د. دعاء وحيد فؤاد خلف

مدرس بقسم أصول التربية

كلية التربية ـ جامعة السويس

بناء العقل الجمعي في ضوء فلسفة التربية القرآنية وبعض تطبيقاته التربوية المعاصرة

د. دعاء وحيد فؤاد خلف

الملخص:

يشير مفهوم العقل الجمعي إلى الوعي أو التفكير المشترك الذي يتشكل داخل مجموعة من الأفراد، والذي يمكن أن يؤثر تأثيرًا كبيرًا على سلوكهم وقراراتهم داخل المجموعة، حيث قد يتحول العقل الجمعي عند غياب الوعي والتفكير النقدي من قوة بناءة إلي قوة ضاغطة تفرض أنماطًا فكرية وسلوكية سلبية على الأفراد، وقد أولى القرآن الكريم عناية فائقة بقضايا التفكير، ودعا في آياته إلي تحرير العقل واستقلاليته، وتمكينه من التمييز والتمحيص، حتى يتحقق التوازن بين الانتماء للمجتمع والقدرة على التفكير المستقل.

لذا هدف البحث إلي استجلاء مفهوم، وأهمية، ومقومات العقل الجمعي، وأهم الإشكاليات المتعلقة بوسائل بناءه مستنيرًا بالتربية القرآنية، وإبراز أدوار بعض المؤسسات التربوية وما يمكن أن تقوم به لتشكيل عقلاً جمعيًا منفتحًا، وقد استخدم المنهج الوصفي، وتوصل إلي بعض الوسائل التربوية التي ترسم ملامح الوعي الجمعي الرشيد، كما جاء في التربية القرآنية، ومنها: ضرورة التوازن بين التفكير الفردي والجماعي، والتحرر الفكري والثقافي، والعزلة الفكرية والاجتماعية، والرفض والمواجهة الواعية، وبناء العقلية الناقدة، وتنمية التفكير الإيجابي.

الكلمات المفتاحية: العقل الجمعي، التربية القرآنية، التطبيقات التربوية.

The Formation of Collective Mind in the Light of the Qur'anic Educational Philosophy and Some of Its Contemporary Educational Applications.

Dr. Doaa Wahed Fouad Khalaf

Lecturer at foundations of Education dept.
Faculty of Education, Suez University

Abstract:

The concept of collective mind refers to the collective consciousness or thinking that forms within a group of individuals, which can significantly influence their behavior and decisions within the group. In the absence of awareness and critical thinking, the collective mind can transform from a constructive force into a coercive force that imposes negative patterns of thought and behavior on individuals. The

Holy Qur'an has paid great attention to issues of thought, calling in its verses for the liberation and independence of the mind and enabling it to discriminate and scrutinize, in order to achieve a balance between belonging to society and the ability to think independently.

Therefore, the paper aims to clarify the concept, importance, and components of the collective mind, in addition to the most important problems related to the means of building it, enlightened by Quranic education. It also highlights the roles of some educational institutions and what they do to form an open collective mind. Using the descriptive approach, some educational means aree identified that outline the features of rational collective awareness, as stated in Quranic education. These include: the necessity of balance between individual and collective thinking, intellectual and cultural liberation, intellectual and social isolation, conscious rejection and confrontation, building a critical mentality, and developing positive thinking.

Keywords: Collective Mind, Quranic Education, Educational Applications.

مقدمة:

يولد الإنسان صفحة بيضاء، لا يملك من المعرفة أو الوعي شيئًا، كما قال تعالى: **{ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا .... ﴿٧٨﴾}**القرآن الكريم، سورة النحل، الآية: ٧٨، ومنذ لحظة الميلاد تبدأ عملية التكوين المعرفي والسلوكي مع المجتمع المحيط، فالفرد لا يتعلم اللغة، ولا يكتسب القيم، ولا يميز بين الصواب والخطأ إلا عبر انخراطه في محيط اجتماعي ينقل إليه هذه المعارف بصورة تدريجية، ومن ثم يغدو المجتمع بمثابة المعلم الأول في تشكيل وعي الإنسان، بما يمنحه نوعًا من السطوة على تفكيره، وسلوكه، وتوجهاته، وإن كانت ضرورية في بناء الإنسان، فإنها قد تتحول إلي قيد إذا لم تكن قائمة على أسس تربوية سليمة، تحقق التوازن بين الانتماء للجماعة والقدرة على التفكير المستقل.

ومن اللافت أن كل ذلك قد تكوَّن بطريقة غير واعية، ويصعب جدًا تحديد مصادر ذلك التكوين، وتحديد المسئولين عنه، فهي –تصورات ومفاهيم وقيم وعادات،....–على درجة من الرسوخ تجعلها تُشكل ضمير الفرد ووجدانه وعقله، ومن ثم فإن موقف العقل الجمعي من العقل الفردي قائم –في معظم الأحيان– على الاستحواذ وعلى الخوف من

التفلت والابتعاد، وكلما كانت سيطرة الجهل على المجتمع أشد، كان خوف العقل الجمعي من شذوذ العقل الفردي عنه أكبر وأعظم (بكار، ٢٠١٠ ، ٦٠- ٦٢).

وقد أولى القرآن الكريم عناية فائقة بقضايا التفكير وإعمال العقل، وأثره في توجيه الفطرة السليمة للإنسان، حيث دعا في آياته إلي تحرير العقل واستقلاليته، وتمكينه من التمييز والتمحيص، ومن ثم لم تقتصر عنايته على بيان أحكام العبادات والمعاملات وقواعد العقيدة فحسب، بل جاء ليصحح مسار التفكير الذي يُفضي إلي صقل العقل، ولا يكتفي القرآن بتذكير العقل بالتفكر، والتأمل، والاستدلال، والنظر فقط، بل يتولى بنفسه التدليل على كل ما يقول، ليفتح أمامه جميع منافذ وسبل التفكير.

وتقوم وظيفة العقل في المنهج القرآني على التنسيق، والتنظيم، والتنقيح، والاختبار بين البدائل، ومن ثم فلم يحجر عليه، بل أطلق له الحرية في الاختيار في ضوء المنهج الذي يقوم على إحقاق الصواب والحق، كما قامت تربيته للعقل على التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة (المرصفي، ١٩٩٠، ٢٦٠).

ولكن عندما نزل الوحي القرآني؛ فإنه نزل على مجتمع واقعه يقوم على التبعية والتقليد لما تعارف عليه الآباء والأجداد من تراث منظم لشؤون حياتهم، أكثر من قيامه على الاستقلالية الفكرية والعقلية؛ لسن ما فيه صلاح المجتمع من قوانين وأعراف منظمة لحياتهم في مختلف مناحيها الداخلية منها، وعلاقاتها الخارجية، ومجتمع يعيش بمثل هذه التصورات المعطلة للعقل؛ لا شك أنه لن يتقبل الرسالة الجديدة التي تدعوهم إلي الاستدلال العقلي، والتحرر من النظرة السطحية للحياة ومكوناتها، وعدم الجمود على الأفكار القائمة على العبثية وعدم التقييد والتكبيل لملكة العقل التي ميزت الإنسان (حسين، ٢٠١٠، ١).

فقال الله عز وجل: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾} القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآيات: ١٠٠، ١٠١، والمعنى: إنكم أيها المؤمنون إن استمعتم إلى ما يلقيه بعض أهل الكتاب بينكم من دسائس ولنتم لهم، لا يكتفون بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم كما في

الجاهلية، بل يتجاوزون ذلك إلى محاولتهم إعادتكم إلى وثنيتكم القديمة وكفركم بالله بعد إيمانكم، وناداهم بصفة الإيمان لتحريك حرارة العقيدة في قلوبهم وتوجيه عقولهم إلى ما يستدعيه الإيمان من فطنة ويقظة، والاستفهام في قوله: "وكيف تكفرون" للإنكار، ولاستبعاد كفرهم في حال اجتمع لهم فيها كل الأسباب الداعية إلى الإيمان، أي: كيف يتصور منكم الكفر، أو يسوغ لكم أن تسيروا في أسبابه وآيات الله تقرأ على مسامعكم، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم بينكم، يردكم إلى الصواب إن أخطأتم، ويزيح شبهكم إن التبس عليكم أمر (طنطاوي، م٢، ١٩٩٧، ١٩٦، ١٩٧).

فتوضح هذه الآيات حرص القرآن على الإتيان بالبرهان والدليل، والبينة والشاهد، وشرع في إقامة منهج التثبيت القائم على المحاكمة والاختبار، ليحرر الإنسان من هيمنة الجمود والتبعية والتقليد، فمن غير ذلك لن يحدث الفهم، ولن يتم الاقتناع، إلا إذا تنازل الإنسان عن دواعي العقل ومنطق الرشد (الغنام، وعبد النبي، ٢٠١٢، ٤٥١، ٤٥٤).

ولكن جُبِل الإنسان على البحث عن القبول الاجتماعي والتفاعل، وعن رضا الجماعة وعن موافقة آرائهم حول ما هو جيد وسيء، ويثق في اختيارهم الجماعي، كما جُبِل أيضًا على النفور من المختلفين عنه، والميل لمن يشبهونه، وبالتالي يحاول هو نفسه أن يشابه الآخرين في سلوكياته وأفكاره، حتى لا يخرج من دائرة المقبول إلى الغريب والشاذ (الحزامي، ٢٠٢١، ٣٨٦).

وهذا يُحتم ضرورة فهم العقل الجمعي بما فيه من قيم وأفكار؛ تعمل على استقطاب العقول الفردية، وجمعها في قالب واحد يجبرها على الإيمان بما ينتجه ويستهلكه من ثقافة أفراد المجموع، وما يصاحب ذلك من نتائج إيجابية أو سلبية، تؤثر في تمايز العقل الفردي.

وقد وضع القرآن الكريم معايير وضوابط للحفاظ على التفكير الفردي والجمعي؛ فإحداث التوازن بينهما تؤتى ثمرته في قدرة المجتمع على مجابهة التحولات والتغيرات التي يمر بها، ولن يتم الحفاظ على النسق الفكري لعقلية المجموع، إلا بالعناية والاهتمام بالنسق الفكري لعقلية الفرد، وما يوليه المجتمع له من البناء والتأسيس بالتعليم، والتربية، والتهذيب، والتثقيف، من خلال قيام مؤسساته ونظمه المختلفة بأدوارها الصحيحة.

قضية البحث:

إن أي محاولة لمناقشة واستقصاء قضية العقل الجمعي، وتداعياته السلبية على المجتمع؛ قد تؤول بالفشل ما لم يتم الرجوع لجذور هذا العطب الذي أصاب أفراده، وإذا كان الفرد مسئولاً عن تنمية عقله وبناءه وتهذيبه، فإن المجتمع هو المسئول عن توفير وسائل هذا البناء بما يملكه من مقومات وإمكانات؛ تسهم في تضييق الفجوة وإحداث التوازن بين العقل الفردي والجمعي، ولما كان التعليم من أهم الوسائل المسئولة عن تنمية العقل وتزكيته، فسوف يُلاحظ ظهور العطب والخلل في الأجهزة التربوية والتعليمية.

وفي هذا السياق يشير محمد عبد القوي شبل الغنام (حرية الإرادة، ٢٠٠١، ٤٢) إلي أسباب هذا الخلل بقوله: "لقد باتت نظم التعليم في مجتمعات التسلط، تفصل العقل الواعي عن العالم، واستقر في خلدها بوسائلها المختلفة، أن تحيل العقل الواعي داخل الإنسان مكانًا فارغًا، بحيث يسهل ملؤه بمحتويات تريدها هي، وهذا الانفصال بين العقل الواعي والعالم، يجعلهما وكأنهما كيانين متضادين، في الوقت الذي يوجدان مترابطين منطقيًا داخل وحدتهما الأساسية الأصلية".

وهدفهم في ذلك، هو بناء عقلية تألف الخضوع والاستسلام للأوامر، وتستجيب للتعليمات التي لا تناقش، بحيث يكون التعليم أداة للتطويع لا وسيلة للإبداع والتحرر، وهذا ما يُلاحظ حدوثه في تطبيق ركيزة مهمة من ركائز التعليم، وهو "كيف نعلم".

فطريقة التدريس –لاسيما التلقينية منها– تنمى لدى الأفراد منذ الصغر الطاعة العمياء والامتثال المطلق، وذلك لأن جوهر عملية التلقين تمارس بالضرورة من خلال علاقة تسلطية؛ وهي سلطة المعلم التي لا تناقش، فأخطاؤه لا يُسمح بإثارتها، وليس من الوارد الاعتراف بها، بينما على الطالب أن يطيع، وتمنعه من التمرس بالسيطرة على شئونه ومصيره، ومن ثم فهي مسئولة عن استمرار الذهنية المتخلفة، لأنها تشكل حلقة من حلقات القهر الذي يمارس على مختلف المستويات في حياة الفرد (الغنام، ٢٠١٢، ٤٥٨).

ويُقاس على ذلك، ما يلحق بالمناهج الدراسية من جمود ورتابة، ويشير لو بون في كتابة سيكلوجية الجماهير (١٩٩١، ١٠٨) إلي محور مهم في هذا السياق، وهو كم المعلومات: فإجهاد الطالب في تعلم أكبر قدر من المواد والمعلومات واختزانها، دون أن يشغل عقله أو رأيه الشخصي، منذ السنة الابتدائية وحتى الدكتوراه، فإن التعليم أصبح

بالنسبة له يتمثل في الحفظ والطاعة، ولا يجعله متفتحًا ذهنيًا ولا يطور ذكاءه، وبدلاً من تحضير رجال المستقبل لمواجهة الحياة، فإن المدرسة لا تحضرهم إلا للوظائف العامة حيث لا يتطلب النجاح أي جهد شخصي أو مبادرة ذاتية من طرف الطالب، ويجعله في أسفل السلم الاجتماعي.

ثم تأتي طريقة التقويم (الامتحانات) لتدعم الطريقة التلقينية، وتعزز خضوع الأفراد للتسلط والقهر، وتثبيط التفكير الإبداعي، ويصبح الطالب وعاء للمعلومات، وناقل، وليس منتجًا ومبتكرًا لها، ومن ثم فإن العطب يبدأ في أجهزة العملية التربوية والتعليمية.

إذن فالنظام التربوي والتعليمي قد يوظف نحو المحافظة والتقليد، واستمرار الأوضاع القائمة، وقد يوظف نحو التجديد والتطوير في تفاعله مع الأوضاع القائمة، سعيًا نحو مستقبل منشود (الغنام، ٢٠٠١، ١).

وكنتيجة طبيعية ومنطقية لهذا الخلل، يرى عبد الكريم بكار (٢٠١٠، ٦١) أن معظم الأفراد لا يستطيعون فهم تركيبة العقل الجمعي الذي يبرمج عقولهم، ولا معرفة ما فيه من قصور وخلل، لذا فانصياعهم له سيكون شديدًا، لأن عقل الفرد يقيم نوعًا من الحوار والجدال مع عقل المجموع، وحين تكون الإمكانات العقلية محدودة لدى الأفراد، فإن ذلك الحوار يضعف إلي حد العدم، لذا يغدو الأفراد في المجتمعات المتعلمة أقل رضوخًا لما هو سائد من أفكار وعادات، على أنهم في المجتمعات التي تغلب عليها الأمية وضحالة المعرفة، يستكينون لما هو عام ومسيطر، والنتيجة لهذا وذاك تتمثل في تقدم المجتمع وجموده؛ فحين يكون التفاوت بين وعي الفرد ووعي مجتمعه واضحًا وقويًا، فإن درجة التحرر والتغير تصبح أكبر؛ لأن تأثير الأفراد حينئذ يكون أعظم، ويستجيب العقل الجمعي لهم أكثر، أما حين يقل التفاوت فإن العقل الجمعي يصاب بالجمود، وتزداد مساهمته في تكريس التخلف.

وقد أرست التربية القرآنية المنهج الصحيح للنظر العقلي، عن طريق مجموعة من الأسس؛ تبدأ بتفريغ العقل من كل ما سبق، والتي لم تقم على يقين، وإنما قامت على مجرد التقليد والظن، ثم يأمر بالتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد به واقتفائه (حسين، ٢٠١٠، ٢٥)، وأُولى الخطوات التي اتبعتها في إعداد الفرد هو تحريره من كل ما علق به من موروثات فكرية؛ من معتقدات وتصورات وسلوكيات وأوهام، وأعلنت نهيه عن التقليد الأعمى والتبعية

الفكرية للآخرين، وغير ذلك من حواجز تُحد من تفكير الفرد واستخدامه لقدراته العقلية وتجعل منه كائنًا تابعًا للآخرين، ضعيفًا في تفكيره وإبداعاته واستقلاله في فكره وشخصيته (حنايشة، ٢٠٠٩، ٥٦).

ويحاول البحث استقصاء بقية هذه الخطوات التي اتبعتها التربية القرآنية لمواجهة الإشكاليات المتعلقة بوسائل بناء العقل الجمعي، ثم محاولة نقل الأفكار والقيم المتعلقة بمفهوم العقل الجمعي المستنبطة من القرآن الكريم من واقع التنظير إلي التطبيق من خلال إيضاح بعض الآليات والأدوار التي يمكن أن تقوم بها بعض المؤسسات التربوية –كالأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام– في بناء منظومة الوعي الجمعي، باعتبارها من أبرز المؤثرات في تشكيل البناء الفكري والقيمي للمجتمعات، ولما تقوم به من دور محوري في صناعة الوعي، وتوجيه السلوك، وصياغة المفاهيم التي يتبناها الأفراد ويجتمعون عليها، ويتأثرون بها في رؤاهم وسلوكهم وتوجهاتهم، بشكل مباشر أو غير مباشر.

وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما الأسس النظرية لمفهوم العقل الجمعي كما جاء في القرآن الكريم؟
٢- ما التداعيات والانعكاسات السلبية للعقل الجمعي على وعي الفرد والمجتمع؟
٣- ما وسائل بناء العقل الجمعي في ضوء فلسفة التربية القرآنية؟
٤- ما أهم التطبيقات التربوية لمفهوم العقل الجمعي كما جاء في فلسفة التربية القرآنية؟

أهداف البحث:

يتلخص هدف البحث في استجلاء مفهوم، وأهمية، ومقومات العقل الجمعي، وأهم الإشكاليات المتعلقة بوسائل بناءه مستنيرًا بالتربية القرآنية، وما جاء فيها من آفاق لبناء العقل الجمعي، من أجل التوصل لملامح رؤية تربوية تسهم في الانتقال بهذا المفهوم من الواقع التنظيري إلي الواقع التطبيقي؛ من خلال إبراز أدوار بعض المؤسسات التربوية وما تقوم به لتشكيل عقلاً جمعيًا منفتحًا.

أهمية البحث:

لعل من أبرز جوانب الاهتمام بدراسة هذه القضية البحثية ما يلي:

١- أهمية الجانب العقلي في تكوين وصقل جميع جوانب ومكونات الشخصية؛ فهو بمثابة القلب الذي يغذي جميع الجوارح، والمرشد لكل أوجه السلوك والفعل، والموجه للتفكير والعمل.

٢- إظهار عناية القرآن الكريم بقضايا التفكير، وتحرير العقل، وأثره في توجيه المجتمع.

٣- حاجة المجتمع إلي اقتباس المباديء والقيم التربوية من القرآن الكريم.

٤- دور العقل الجمعي في تحقيق التوازن والتماسك والاستقرار المجتمعي؛ حيث يسهم في تشكيل هوية الأفراد وقيمهم، وتعزيز انتمائهم لمجتمعاتهم.

٥- محاولة الارتقاء بالعقل الجمعي للمجتمع؛ لإحداث التغيير والتطوير المنشود.

٦- بيان الرؤية القرآنية في هذه القضية التربوية؛ بمحاولة الكشف عن آفاق بناء العقل الجمعي في ضوء التربية القرآنية؛ من خلال تتبع تأثير العقل الجمعي في آيات القرآن الكريم.

٧- إبراز دور المؤسسات التربوية في تشكيل الوعي المشترك بين أفراد المجتمع؛ سواءً التأثيرات المباشرة أو غير المباشرة التي تُحدثها في تغيير الثقافة والقيم والمباديء والسلوك، والتي تؤدي دورًا في تكوين العقل الجمعي.

حدود البحث:

يقتصر البحث على محاولة تصحيح مسار التفكير الجمعي في ضوء منهج التربية القرآنية؛ بالكشف عن وسائل بناء العقل الجمعي في القرآن الكريم، وأهم ما يمكن أن تقوم به المؤسسات التربوية –كالأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام– في ضوء ذلك المنهج.

منهج البحث:

تناسب استخدام المنهج الوصفي مع طبيعة البحث وفروضه؛ من خلال وصف وتحليل مفهوم العقل الجمعي وأهميته ومقومات تشكله، وجوانبه الإيجابية، وتداعياته السلبية من منظور التربية القرآنية، وتحديد وسائل بناء عقل جمعي هادف من خلال الاستنارة بتوجيهات الآيات والمواقف القصصية القرآنية، للوقوف على دور المؤسسات التربوية في بناء عقل واعٍ وهادف.

مصطلحات البحث:

وتمثلت فيما يلي:

١- العقل

لغةً:

(عقل): العين والقاف واللام أصل واحد يدل على حُبْسة في الشيء، والعَقْل: وهو الحابس عن ذميم القول والفعل، ويقال عَقَل؛ إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله، واعتقل لسان فلان: إذا احتبس عن الكلام (زكريا، ج ٤، ١٩٩١، ٦٩).

وهو الحِجْر والنهي ضد الحُمْق، والتثبت في الأمور، وسُمي عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحْبِسه، ورجلٌ عاقل: وهو الجامع لرأيه، والعقل هو التمييز الذي يتميز به الإنسان من سائر الحيوان (ابن منظور، م ١١، ١٩٨٣، ٤٥٨، ٤٥٩).

اصطلاحًا:

- هو كيان مجرد منظم يشكل مصدر الإلهام لجميع أنشطة الفرد الاجتماعية والنفسية، ويعتبر العقل كجزء من العمليات الاجتماعية مما يجعله يتميز بطابع متغير باستمرار، ويتكون العقل من خلال التفاعل الاجتماعي، لذا يتعذر فصله عن العملية الاجتماعية (الصالح، ١٩٩٩، ٣٤٠).
- "والعقل في مدلول لفظه العام ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع عن المحظور والمنكر" (العقاد، ٢٠١٤، ٤).

ومن ثم فالعقل هو مكون غير مادي وهبه الله ﷻ للإنسان، يرى نوره في قلبه، وجعله مصدرًا لتميزه عن باقي المخلوقات، يدرك به كنه الأشياء المعنوية، أو المادية الملموسة، من خلال مسئوليته عن قيامه بوظائفه المختلفة؛ كالتذكر، والفهم، والتفكير، والتأمل، والاستنتاج، والاستدلال، والاستنباط،...، ومن ثم يكون زاجرًا وحابسًا له عن السلوك اللأخلاقي في كل أنشطته الحياتية في المجتمع.

٢- العقل الجمعي (الجماعة): **Collective Mind**

- الاتجاه الموجه والمنظم الذي يسود سلوك الجماعة نحو أي موضوع مستقلاً عن كل فرد من أفراد الجماعة (بدوي، ١٩٨٢، ١٨٥).
- عقل أو روح توجد منفصلة عن أعضاء الجماعة كأفراد وتوجه سلوكهم (الصالح، ١٩٩٩، ٢٤٤).

٣- التربية القرآنية: **Quranic Education**

ما يمتاز به القرآن الكريم من خصائص عالية موصلة لغايات سامية، إذ يأخذ بلبّ المرء فيجعله يرتقي من حال إلى أحسن وإلى أفضل بل وإلى أعلى وأسمى، في العمل والمعتقد ونحوهما، وكل هذا يدل عليه معنى التربية (واعظ، ٢٠٠٦، ٤).

ومن ثم فالتربية القرآنية هي منهج تربوي شامل يهدف لتنمية جميع جوانب الشخصية وتكوينها بشكل متكامل ومتوازن، على أسس إيمانية أخلاقية من خلال مصدر التربية الأساسي وهو القرآن الكريم.

٤-التطبيقات التربوية **Educational Applications**

هي الاستفادة العملية التي يمكن أن تمارس في الميدان التربوي، وذلك إما عن طريق الاستفادة من ذات النص، أو الموقف، أو بالاستنباط منه، بهدف إنماء شخصية الفرد بصورة متوازنة ومتكاملة، لتشمل جميع جوانب الشخصية جسديًا، واجتماعيًا، وجماليًا، وروحيًا، وأخلاقيًا وعقليًا ووجدانيًا (حسين، والشمري، ٢٠٢٠، ٢٠٣).

ويمكن تعريف التطبيقات التربوية بأنها الإجراءات العملية أو الأساليب المستمدة من المفاهيم والمباديء والقيم في الآيات القرآنية، بحيث يمكن تطبيقها على واقع التعليم والتعلم، بهدف تحسين الممارسات التعليمية، وإحداث التغيير السلوكي المرغوب فيه.

محاور البحث:

المحور الأول: الأسس النظرية لمفهوم العقل الجمعي كما جاء في القرآن الكريم.

المحور الثاني: التداعيات والانعكاسات السلبية للعقل الجمعي على وعي الفرد والمجتمع.

المحور الثالث: وسائل بناء العقل الجمعي في ضوء فلسفة التربية القرآنية.

المحور الرابع: أهم التطبيقات التربوية لمفهوم العقل الجمعي كما جاء في فلسفة التربية القرآنية.

وفيما يلي تناول هذه المحاور:

المحور الأول: الأسس النظرية لمفهوم العقل الجمعي كما جاء في القرآن الكريم.

يتناول هذا المحور مفهوم وأهمية العقل الجمعي، ومقومات بناءه وتشكله، مسترشدًا ومستنيرًا بما جاء في القرآن الكريم، وذلك على النحو التالي:

أ- مفهوم العقل الجمعي

لقد وردت مادة (العقل) في القرآن الكريم (٤٩) مرة؛ من بينها (٢٤) مرة بصيغة (تعقلون)، و(٢٢) مرة بصيغة يعقلون، ومرة واحدة بصيغة (عقلوه)، (ونعقل)، (ويعقلها) (عبد الباقي، ١٩٤٥، ٤٦٨، ٤٦٩).

ومن ثم فلم يرد لفظ كلمة العقل في القرآن الكريم بشكل مباشر، وإنما ورد مفهوم العقل عمومًا عن طريق وظائفه، ولعل هذا يمكن أن يكون تفسيرًا لخلو آيات القرآن الكريم من مصطلح "العقل" في الوقت الذي يكثر استخدام وظائفه من تفكير، وتأمل، وتدبر، ووعي، وإدراك" (علي، ٢٠١١، ١١).

وقد وضح القرآن الكريم أن مناط الفقه والعقل هو القلب، قال الله ﷻ: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾} القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

فهم عطلوا وسائل المعرفة الصحيحة التي توصلهم إلي الخير والإيمان، لأن لهم قلوبًا لا تفقه ولا تفهم، وأعينًا لا تبصر الحقائق، وآذانًا لا تسمع سماع تدبر وإصغاء لآيات الله، وليس الغرض من ذلك نفي هذه الإدراكات عن حواسهم جملة، وإنما الغرض نفيها وعدم استعمالها في الطريق الصحيح، فاستوجبوا الوصف بأنهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون، فهم كالأنعام السائمة، بل هم أضل سبيلاً منها (الزحيلي، ٢٠٠١، ٧٥٥).

فعلى الرغم من قيام حواسهم بوظائفها الجسمية الفطرية المعروفة-؛ كالإبصار، والسمع،...إلا أن الأعين افتقدت إلي البصيرة، والسمع إلي الإدراك والوعي، ومن ثم يتعطل عمل القلب في وصوله إلي الهداية والنور والحكمة، فهو مركز الفهم والفقه والتلقي، وهذا هو ما يميز الإنسان عن الدواب والأنعام.

ويلاحظ من الآيات إعلاء القرآن من قيمة الفهم الواعي والعقل الراجح ويراه العنصر الحاسم في سلوك الفرد، فهم أناس لا يفكرون وجعلتهم بمستوى الأنعام، وهؤلاء الذين لا يعقلون ولا ينفعهم تفكيرهم غير جديرين بصفة الإنسانية، بل عدَهم بمستوى الدواب، بل أضل، ومن ثم

فالتفكير له أثر بالغ في السلوك الإنساني، واختيار السلوك الأفضل والمناسب (رجب، ٢٠٠٩، ١٩).

أما لفظ الجمعي (الجماعة) فهو يشير إلي جمع من الأشخاص يتسم بالتفاعل الذي يقتصر على أفراد الجمع في سياق معين لتحقيق هدف مشترك، أو هي عدد من الأفراد تقوم بينهم علاقات معينة تُحتم عليهم التفكير بعضهم في الآخر أو بعضهم في بعض (الصالح، ١٩٩٩، ٢٤١).

أو هي مجموعة من الأفراد يقوم بينهم نمط من التفاعل السيكولوجي، ويعتمد كل منهم على الجماعة في تحقيق أهداف محددة أو مقابلة احتياجات معينة ويكون للجماعة وحدتها الذاتية التي سلم بها أعضاؤها وكذا الغير (بدوي، ١٩٨٢، ٦٩).

ومن ثم فالجماعة كيان يختلف عن مفهوم الفرد ويسبقه، ولها اهتمامات وميول متشابهة، ومن مستوى اقتصادي واحد ومتقارب، وقد يكون لها بنية رسمية كالرابطة المهنية، وتعتبر مصدرًا لمفرادات الثقافة التي تنظم حياة الأفراد، وعلى ذلك فإن الأحداث والتغيرات الاجتماعية، طبقًا لهذا المفهوم هي نتيجة لإرادة الجماعة، وليست نتيجة لإرادة خاصة بفرد من الأفراد (جابر، وكفافي، ١٩٨٨، ٩٧، ٩٨).

مما سبق، فإن الجماعة مجموعة أفراد يشكلون وحدة مستقلة لها أهدافها، وثقافتها، ومعتقداتها، وإرادتها الخاصة؛ تسعى بها لتلبية احتياجاتها، من خلال التفاعل بين أعضاءها في سياق معين.

ولم يذكر القرآن لفظ الجماعة، وإنما ورد منه قريبًا من معناه؛ كجميعٌ، وجميعًا، وأجمعون، وأجمعين[1]، يقول الله ﷻ: {وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾}، القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية: ٥٦، {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ..... ﴿٢٩﴾} القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٢٩، {فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ } القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية: ٣٠ ، {...وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ } القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية: ٩٣.

١- يس: (٣٢، ٥٣)، البقرة: (١٤٨)، المائدة: (٣٢)، ص: (٧٣)، الأنعام: (١٤٩).

كما أتى لفظ الأمة بمعنى الجماعة: { وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ....﴿١٠٤﴾ } القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: ١٩٤، {....وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ ..... ﴿٢٣﴾} القرآن الكريم، سورة القصص، الآية: ٢٣، ولفظ العصبة بمعنى الجماعة أيضًا، {إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ ..... ﴿٨﴾}، {قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾} القرآن الكريم، سورة يوسف، الآيات: ٨، ١٤.

وجاء لفظ الطائفة بمعنى جماعة: {إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾}، القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: ١٢٢، {وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا.. ﴿٩﴾} القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية: ٩.

ومن ثم لم يرد لفظ الجماعة في القرآن الكريم، ولكن ذُكرت ألفاظ قريبة منها في المعنى مثل لفظ جميع، وجميعًا، وأجمعون، وأجمعين، وأمة، وطائفة، وعصبة، والملأ، والقوم، ونحو ذلك، وأغلب هذه الألفاظ تعطي معنى الاجتماع والتضام، والزيادة، وتدل على العموم، والشمول، والإحاطة بالجميع، وذلك بضم بعضهم إلي بعض، حسًا كان أو معنى، كجمع الرأي والفكر ونحو ذلك، فالأمة، فهي جماعة لهم هدف محدد يقصدونه، كالأمة من الناس قي قصة موسى عليه السلام هدفهم السقي، وهكذا، والعصبة جماعة صغيرة فيها قوة من ذاتها وشدة، وذلك لأن بينهم آصرة شدية تربطهم، أو هم متحدون على أمر ما؛ كرابط الأخوة في قصة يوسف أو من خارجها، وأما لفظ الطائفة فهي جماعة صغيرة جدًا فيها نشاط وقوة وسرعة، ولو كانت قليلة العدد (الجوهري، ومحمود، والفيفي،٢٠٢٠، ٧٠٠).

وتجدر الإشارة إلي أن ظهور العقل الجمعى يجعل الناس تشعر وتفكر، وتتصرف بطريقة مختلفة تمامًا عن الطريقة التى كان سيتصرف بها كل منهم لو كان بمفرده، فالحشود تظهر عندما تسود حالة من التخلص من الهوية الفردية (المجهولية)، والتى تنخفض معها المسئولية الشخصية، وتنتقل الأفكار بسرعة بين الجماعة عن طريق العدوى، وتبرز –من خلال القابلية للاستهواء– الجوانب اللاواعية من الشخصية (مارشال، ٢٠٠٧، ٦٩٩).

ومن ثم يكمن الاختلاف بين العقل الفردي والجمعي في السلوك والفعل الذي يتبناه حال عدم تعرضه لأي مؤثرات خارجية، أي حال تُركه ليفكر حسب قناعاته وتوجهاته، وبطبيعة الحال سيكون تفكيره وسلوكه مختلفًا عن أسلوبه إذا تَرك نفسه منساقًا لعقل غيره.

وقد تم تعريف مفهوم العقل الجمعي بأنه:

- نمطية ثابتة تسري بين عقول المجموع وتتسلل بينها فيتعطل التفكير الفردي ويتشكل رأيًا أو فكرة محددة تنتقل بانسيابية وسلاسة إلى عقول مجموعة من البشر وهم لا يشعرون (الكومي، ٢٠٢٠، ٢).
- هو الذي ينشأ من اجتماع الأفراد بعضهم مع بعض، واحتكاك أفكارهم، وتقابل وجداناتهم ونزعاتهم، وهو الذي تكّون من ائتلاف الجماعة، وتغذى على مالها من عوائد وأعراف (عبد النبي، ٢٠١٠، ٥٦٣).
- آلية التفكير التي تجعل الإنسان يعتمد على استنتاجات الآخرين، ويفكر بطريقة مشابهة لهم، عوضًا عن أن يفكر بطريقة ذاتية خاصة به (الحزامي، ٢٠٢١، ٣٨١).
- ظاهرة تفترض فيها الجماهير أن تصرفات الجماعة في حالة معينة تعكس سلوكا صحيحًا، ويزداد تأثير العقل الجمعي في الحالات أو الظروف التي يشيع فيها غموض اجتماعي، أو حيرة، وتفقد الجماهير فيها قدرتها على تحديد السلوك المناسب، فيفترض فيها الفرد أن الآخرين يعرفون أكثر منه عن تلك الحالة، وهنا يظهر ما يسمى بسلوك القطيع كما يمكن أن يتحول إلى ثقافة الغوغاء (الحزامي، ٢٠٢١، ٣٨٥).

وتسمية العقل الجمعي بسياسة القطيع غير دقيق حيث يعتمدون في ذلك على الرأي الذي يقرر أن الفرد يتصرف على نحو سليم حين يكون سلوكه مشابهًا لسلوك الآخرين، وبعبارةٍ أخرى: كلما زاد عدد الناس الذين يعتقدون في صحة فكرة ما، زادت صحة هذه الفكرة، وبطبيعة الحال هذا ضرب من العبث، ونجد العقل الجمعي في موضة الثياب، وفي تقنيات الإدارة، وفي أنشطة قضاء وقت الفراغ، وفي الدين، وفي نُظم الحمية الغذائية، ويمكن أن يصيب العقل الجمعي ثقافات بكاملها بالشلل، مثل حالات الانتحار الجماعي لدى بعض الطوائف الدينية (دوبلي، ٢٠١٧، ٣٠).

يلاحظ من المفاهيم السابقة أن العقل الجمعي هو موجه لسلوكيات الجماعة وآرائها؛ بحيث يعبر عنها ككل، بغض النظر عن اتجاه وسلوك كل فرد من أفرادها، بالاتفاق أو الرفض له، ومن ثم يمثل هذا العقل قوة ضاغطة لتبني بعض الآراء والسلوكيات والمواقف.

ب- أهمية العقل الجمعي في توجيه سلوك الأفراد

على الرغم من ارتباط مفهوم العقل الجمعي بالتقليدية أو فقدان الاستقلالية، فإن له أهمية بارزة تسهم في توجيه الأفراد نحو السلوكيات المقبولة اجتماعيًا، وتحافظ على تماسك المجتمع واستقراره، وفيما يلي بعض هذه الجوانب:

١- ترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية

إن القيم الإيجابية التي يُسهم العقل الجمعي في ترسيخها داخل المجتمع، تؤدي إلي تقوية الروابط بين الأفراد، وبناء بيئة يسودها التعاون والتكامل في أداء الأدوار، فحين يتشارك الأفراد منظومة فكرية واحدة، تتقارب رؤاهم وتتسق أهدافهم، مما ينعكس إيجابًا على قدرتهم على اتخاذ القرارات الجماعية، وتحقيق الصالح العام، ومواجهة التحديات بروح جماعية مسؤولة، وقد أكد القرآن الكريم على هذه القيم، كما في قوله تعالى: {وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣} القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

فقد أعد الله الأفراد للاجتماع والاتحاد، ونهى عن التفرق أبدًا، فإن الداء في الفرقة والانحلال، ويكون التزام الجماعة بعد الاعتصام بالكتاب والسنة هو سبيل الوحدة والبعد عن التفرق، وسبيل تحقيق وحدتها هو الحفاظ على شخصيتها المتماسكة، وتميزها الذاتي، ورفض تبعيتها لغيرها، فيكون لها استراتيجتها الذاتية، وخطتها الخاصة، وعقليتها الواعية (الزحيلي، ٢٠٠١، ٢٢٣، ٢٢٤).

ويقول الله سبحانه وتعالي: {...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ... ٢} القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية: ٢، ففي قيمة الاجتماع والائتلاف ما يعين المجتمع على تحقيق المصالح، ودرء المفاسد، وترسيخ هذه القيمة في العقل المجتمعي يحول

بين إنماء الوجه الآخر لهذا العقل؛ والمتمثل في اختلال نظام المجتمع، وتقطيع الروابط والصلات المجتمعية، وسعي الأفراد لتحقيق مساعيهم الشخصية دون النظر للصالح العام.

والإنسان بفطرته يميل إلي الاجتماع والتآزر، وكل منا يملك المواهب والاستعدادات ما قد لا يتوفر للآخر، والعكس صحيح، وكل منا يحتاج إلي الآخر بقدر لا يقل عن حاجة هذا الآخر إلينا، وكما لكل فرد منا بصمة خاصة به، فلعقل الإنسان كذلك بصمة خاصة تجعل ما ينتجه غير متطابق دائمًا وكليًا مع ما ينتجه آخرون، ومثلما أوجب اختلاف القدرات والاستعدادات؛ على البشر أن يتعاونوا ويتآزروا، فإن اختلاف العقول يوجب الحوار وتبادل الرأي والمناقشة. (علي، ٢٠٠٦، ٦٩)، ومن هنا فالمقصد من التعاون والاجتماع **والتآزر** هو التنوع والتكامل، لاختلاف القدرات والاستعدادت، وضرورة حدوث تكامل بينها.

والعقل الجمعي في تعاونه وتآزره هو الذي يحافظ على قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، وكأنه رجل واحد يمثلها، ويدافع عنها، وذلك حين لا يجعل الجميع يركنون إليه ولو كان خاطئًا، وحين يتم تنقيته وفحصه باستمرار من قِبل أفراده العلماء والمفكرين والمثقفين من جوانبه السلبية، وإحلال جوانبه الإيجابية التي تعيد له وظائفه، وتبرز أهميته.

ومن ثم فإن الإنسان إذا خرج من دائرة فرديته، وبدأ يمارس حياته في المجتمع تأثيرًا وتأثرًا وجد نفسه في دائرة أوسع من العلاقات نظمها القرآن تنظيمًا شاملاً كاملاً من زاويتين متكاملتين هما: زاوية السلوك الإيجابي الذي لا ينبغي للمجتمع مخالفته ممثلاً في التعاون، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الأرحام، وانتهاج السلوك المرغوب فيه اجتماعيًا، وزاوية السلوك السلبي الذي لا ينبغي لأفراد المجتمع اقترافه، ونبذ السلوك المستهجن اجتماعيًا وإدانته، مما نهى عنه القرآن الكريم (رجب، ١٩٩٦، ٥٢).

كما أن من بين القيم المهمة التي يشعر بها الأفراد في ظل سيادة العقل الجمعي الإيجابي؛ قيمة الأمن، فشعور الفرد بالطمأنينة لكونه مع جماعة تتعاون معه وتؤزاره؛ يسهم في تحريره من القيود؛ كالخوف، والضغوط الاجتماعية، وأسر الموروثات، والجهل، والتبعية، والقيود الفكرية، مما يفضي إلي بناء الشخصية الحرة، والمنتجة، والمبدعة.

لذا فإن الاجتماع من أهم مميزات العقل الجمعي حين يوجه وجهة صحيحة، فهو أساس نجاح العقول الفردية، وأساس تقدم حضارة أي دولة، فالقوة تكمن في المجموع الذي تعتمد عليه

أي دولة في عصر الأحزاب والجماعات المختلفة، ومن السهل اختراق العقول الفردية لوهنها وضعفها وأنانيتها، ولتمحورها حول ذاتها وأعمالها الفردية.

٢- الإبداع الفكري

يسهم العقل الجمعي إسهامًا فاعلاً في تعزيز الإبداع الفكري، إذ يعد البيئة التي تدعم تبادل الخبرات والمعارف بين الأفراد، فحين يتفاعل الأفراد ضمن إطار من القيم والمعايير المشتركة، تنشأ مساحات واسعة للنقاش البنَّاء، مما يؤدي إلي توليد أفكار جديدة قائمة على التراكم المعرفي الجماعي، فانسجام العقول المتعددة ينتج أفكارًا أعقد وأكثر تنوعًا من تفكير فردي منعزل.

ولكن المبدعون قليلون في المجتمع، فهم –باعتبار ما– غرباء عنه، ولم يكونوا غرباء إلا لأنهم يسلكون سلوكيات، ويقومون بأنشطة، ويطرحون فروضًا مختلفة عما لدى السواد الأعظم من الناس، وهم الذين يعالجون مشكلات المجتمع –على المستوى النظري على الأقل– ويفتحون أمامه طرقًا جديدة للازدهار (بكار، ٢٠١٢، ٩٤، ٩٨).

ولما لم يكن كل الأفراد قادرين على هذا التفكير الاستنباطي وليسوا بالمستوى نفسه من الذكاء، حرص المجتمع على وجود الأفراد المبدعين، وعلى تجمعهم في فريق عمل إرشادي للعقل الجمعي، وهم النخبة أو جماعة الإصلاح والتغيير، وهدفهم القيادة الفكرية الصحيحة للعقل الفردي تجاه إنتاج السلوك الراقي، فيرتفع بأفكاره عن ضيق النظر والتدني في الرؤية، وصولاً إلي الإبداع أو ذلك من التقليد المعتبر؛ الذي يقوم على الفهم لمدارك الأفكار وجوبًا (البدراني، ٢٠٢١، ٣، ٤).

ويتضمن الإبداع الجماعي مهامًا غير روتينية تنبثق منها أفكارًا جديدة، ومن ثم فهو يفيد المجتمع من خلال مخرجاته الإبداعية، ويفيد المشاركين فيه من خلال الإتقان الذي يحققونه، وهذا يتطلب جهدًا معرفيًا واستكشافًا كبيرًا من كل فرد، فبعضهم يُولد الأفكار، وبعضهم يُقيمها، وآخرين يولد أفكارًا جديدة باختيار الأفكار الموجودة ودمجها، مما يؤدي إلي تعزيز التعلم الاجتماعي، والإدراك، ونمو القدرات الفكرية الفردية، لتعلم كل منهم من الآخر. (Yu, L., Nickerson, J., Sakamoto, Y., 2012, 1, 4,7)

وتشير الآيات القرآنية إلي قيم العلم، والفهم، والتفكر، والتدبر، واستخدام العقل، التي هي أساس الإبداع الفكري، وإنتاج الأفكار الجديدة وتطويرها، يقول الله عز وجل: {...إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾} القرآن الكريم، سورة الروم، الآية: ٢١، {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾}القرآن الكريم، سورة محمد، الآية: ٢٤، كما حثت في مواضع كثيرة على تفعيل العقل، لا التلقي السلبي، بقوله سبحانه: { ...أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾} القرآن الكريم، سورة محمد، الآية: ٦٨، وتكرار الصيغة القرآنية {...لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾} القرآن الكريم، سورة محمد، الآية: ٧٣، وهي تشير إلي أهمية فهم الأمور وتحليلها وتعقيلها.

فكل فرد من أفراد العقل الجمعي يبحث ويفكر ويحلل ليضيف جديدًا يُنسب إلي المجموع، وإلي اكتشاف معرفي جديد، وهذا هو أرقى أنواع التفكير؛ حيث تتنازل فيه العقول عن الأنانية الفردية الفكرية لصالح المجموع، ومن ثم تلتقي الكفاءات الفردية لتكون عقلاً جمعيًا واعيًا لا تذوب فيه هذه الكفاءات وإنما لتحرك المجتمع وتُنهضه.

كما يهييء ويوفر العقل الجمعي مناخًا من الدعم النفسي والاجتماعي؛ يشجع الأفراد على التعبير عن آرائهم وتجريب أفكارهم دون خوف من الرفض أو العزلة، وهو يعد أحد أهم محفزات الإبداع، ولكن للوصول إلي الإبداع في ظل العقل الجمعي اللاواعي، نحتاج إلي صبر ومجاهدة نفسية وعقلية وفكرية، واستعداد لتغيير الأفكار المتوارثة والمتراكمة، ومواجهة الاتجاهات، وإحلال البدائل الجديدة التي تستثير الإبداع.

٣- تنظيم مجالات العمل الاجتماعي

إن الإنسان ليس فردًا فردية مطلقة، ولا هو ذائب في الجماعة، بل هو يشكل جزءًا من كلٍ أكبر منه، وهذه الجماعة منسقة لغايات أسمى، ومن ثم فإن الإسلام لا يضخم الفرد، ولا يضخم الجماعة، إذ يعطي الفرد ذاته المسئولة، بحيث يصبح في النهاية فردًا في مجموع، ويعطي المجتمع كيانًا ووجودًا في ضمير الأفراد، فهو يغذي في الفرد النزعة الفردية بحيث يشعر بذاتيته واستقلاله، ويبين للإنسان دوره في إطار المجموع، لأن الإنسان لا يمكن أن يحيا بمعزل عن المجتمع، ومن ثم فالدور الاجتماعي للفرد مطلوب، وفي الوقت نفسه قرر ضمانات

معينة ليسير المجتمع على أساسها، وليوفر الجو المستقر الذي يستطيع الفرد فيه استغلال قدراته كقوة مميزة متفردة، مسئولاً عن أعماله (أبو العينين، ١٩٨٦، ٥٠).

ويعد تنظيم مجالات العمل الاجتماعي من الركائز الأساسية لتحقيق التوازن والتنمية داخل المجتمع، لوجود إطار منظم يحدد الأدوار، وينسق المسئوليات، ويوجه الطاقات نحو أهداف مشتركة، ويسهم العقل الجمعي بدور محوري في هذا التنظيم، من خلال ترسيخ قيم التعاون والانضباط والشعور بالمسئولية الجماعية، مما يؤدي إلي توحد الجهود وتكاملها، لتحقيق أقصى قدر من الكفاءة والاستفادة، ويصبح العمل الاجتماعي أكثر أثرًا واستدامة.

يقول الله ﷻ :{ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾} القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: ١٠٤، {لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ ... ﴿١١٤﴾} القرآن الكريم، سورة النساء، الآية: ١١٤.

أي وليكن منكم جماعة ممن عُرفوا بالعقل متصدية للدعوة إلي سبيله وإرشاد الخلق إلي دينه؛ من العلماء المعلمون للدين، والوعاظ، والمجاهدون، والمتصدون لتفقد أحوال الناس، والذي يحصل المقصود بهم، من تعليم العلم الذي يحصل به الدعوة إلي الخير ووسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والعلم، ومساعدة الناس بالقول والفعل والمال وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة لذلك هم خواص المؤمنين، والفائزون بالمطلوب (السعدي، ٢٠٠٢، ١٤٢).

ومن هنا تكمن أهمية العقل الجمعي الواعي في ظهور فئة مجتمعية راشدة تقود العمل في المجتمع بفكر مستنير؛ تخدم به أفراده، وتوجه طاقاتهم بشكل إيجابي، بعيدًا عن الركون والسلبية التي اعتادوا عليها، ومقصدها الأول هو نهضة المجتمع، وهذه الفئة الخاصة هي التي تنظم العمل داخل المجتمع، تعيد فيه للفرد دوره الحقيقي كإنسانًا واعيًا فاعلاً مسئولاً عن نهضة مجتمعه بما يملك من هوية مستقلة يظهر أثرها فيما يقدمه لمجتمعه.

وهذا يتطلب من أفراد العقل الجمعي الواعي تغيير العلاقات الاجتماعية القائمة على القيم النفعية التي تحكم الأفراد، وإعادة كينونة واستقلالية الأفراد، وتقديم المصلحة المجتمعية

على الشخصية، والتوجيه الإيجابي لطاقات الأفراد نحو مجالات العمل الاجتماعي التي تتطلب ضرورة التفاعل والتقبل للمتغيرات المجتمعية.

لذا فإن الوعي الجمعي لا يقترن بوعي شخصي أو وعي لجماعة أو حزب،... بل يرتبط بالفهم الذي يرتبط بعموم المجتمع بشتى فئاته من مثقفين، وطلاب، وعمال... ولدى الجنسين وفي كل الأعمار، كما يتشكل في إطار سياق اجتماعي معين وهو ما يمنحه دورًا في إحداث التغيير والتطوير الاجتماعي، إما بشكل إيجابي أو سلبي (جبار، ٢٠٢١، ٤).

لذا فإن له دورًا –أيضًا– في تنظيم الأنشطة الجماعية، خاصة في مجالات الخير والإصلاح، مثل: العمل التطوعي، والمبادرات المجتمعية،...، وهذا التنظيم يسهل تنفيذ الأهداف الجماعية بشكل عملي ومنظم.

جـ- المقومات الأساسية التي تسهم في بناء العقل الجمعي

ا- الموروثات الاجتماعية والثقافية المكتسبة

تتشكل ثقافة المجتمع من معرفة، وقيم، وعادات، وأعراف، وتقاليد بشكل بطيء وتراكمي عبر الزمن، وتصبح بمرور الوقت كأنها مسلمات أساسية لا تقبل التغيير، وذلك بحكم الإلف والعادة التي أصبحت متجذرة في حياة الأفراد، كخبرات ينقلونها بين الأجيال المتتابعة، وتغدو علاقات الأفراد ما هي إلا انعكاسًا للبيئة الاجتماعية التي نشأووا فيها.

ولا شك أن الإنسان مهما كانت درجة عبقريته لا يستطيع أن يتجاوز كثيرًا من المعطيات المعرفية السائدة في زمانه، كما أنه لا يستطيع الابتعاد عن الأعراف والتقاليد السائدة في البيئة التي يعيش فيها، ولكن تظل هناك فروق بين الإمعة التابع، وبين الرائد السبَاق المبادر المبتكر (بكار، ٢٠١٢، ٨٤).

ولكن هناك نماذج وأنماط بشرية لا ترضى من الغير إلا الخضوع والاستسلام التام، فلا يرى أتباعه إلا ما يرى هو، ولا يحسنون إلا ما جعله لهم حسنًا، ولا يقبحون إلا ما يراه هو قبيحًا، وانقيادها لصوت العقل؛ إنما يعارض أهوائها، ومصالحها، وهناك أنماط من البشر تتأثر بالإلف والعادة والصوت العام في المجتمع، كالنماذج البشرية في القرآن التي عارضت الأنبياء والمرسلين فيما مضى، ورفضت الدعوات الإصلاحية بحجة متابعة الآباء والأجداد، واتجهوا إلي المعارضة والمعاندة في وجه الدعوة الصادقة (عبد النبي، ٢٠١٠، ٥٨٠).

يقول الله ﷻ: {وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾} القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآيات من ٦٥ إلي ٦٧.

أي قالوا لهود إنا لنراك في سفاهة غريبة أو تامة –أي خفة الحلم وسخافة العقل– تحيط بك من جانب، بأنك لم تثبت على دين آبائك وأجدادك، بل قمت تدعو إلي دين جديد تحتقر فيه الأولياء الصالحين من قومك الذين نتقرب إلي الله تعالي بشفاعتهم، فقال لهم: ليس بي أدنى شيء من ضروب السفاهة، ولكني رسول من رب العالمين، والله لا يختار لها إلا أهل الحصافة برجحان العقل وسعة الحلم، وكمال الصدق، فاستنكروا التوحيد، واحتجوا عليه بما أبطله الشرع والعقل من التقليد، واستعجلوا الوعيد (رضا، مج٨، ٢٠١١، ٤٣٨– ٤٤٠).

وعارضوا وعاندوا وقالوا: {قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾} القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية: ٧٠، فجعلوا ما وجدوا عليه آبائهم الضالين من الأمور التي لا يُعارَضون فيها، وقدموا ذلك على ما دعت إليه الرسل من توحيد الله وحده (السعدي، ٢٠٠٢، ٢٩٤)، واحتجاج المشركين على صحة باطلهم بفعل آبائهم وأجدادهم يكاد يكون سنة مطردة في الأمم والشعوب، وهو التقليد المذموم (الجزائري، ٢٠٠٢، ٤٦١).

وكذلك موقف أهل مدين مع نبي الله شعيب (*) وأهل ثمود مع نبي الله صالح، وبني إسرائيل مع نبي الله موسى، فكانت كلها الرفض والمعاندة، والسبب هو الإلف والوراثة والعادة التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، ولم يسمحوا لعقولهم بالتساؤل والتفكر حول هذه العادات والعقائد ومدى صحة التمسك بها.

وقد فسرت ذلك دراسة Luiz M. (2024, 53) أن الأفكار والمعتقدات والمعرفة الناتجة عن تجارب الأسلاف والمتجسدة في العقل الجمعي تراكمت عبر الزمن، وظهرت في

* **القرآن الكريم: سورة هود: (٦١، ٦٢)، (٨٤– ٨٧)، سورة يونس: (٧٥– ٧٨)، سورة إبراهيم: (١٠).**

الجانب الثقافي للمجتمع، ويتم تفسير الواقع من خلالها، ومن ثم فإن العملية التي تتحول من خلالها فكرة فردية إلى اعتقاد جماعي هي عملية تراكمية، تتطلب من المجتمع أن يتحقق لفترة طويلة من التطابق بين الفكرة والواقع، من خلال التكرار الذي يحفز العادة، وبالتالي يشهد تثبيت الأفكار في العقل الجماعي.

كما أشار دور كايم (٢٠١١، ٤٥، ٤٦) إلي أن العقائد والعادات والتقاليد الاجتماعية تسيطر علينا، ونتقبلها قبولاً سلبيًا، دون أن ندخل عليها بعض التعديل، ونجعلها جزءًا من شعورنا، ولا تحتل هذه الآراء شعورنا فحسب، ولكنها تمتاز بنوع من النفوذ والسيطرة، ويرجع السبب في ذلك إلي أنها نتيجة لبعض التجارب المتكررة.

أي أن تكرار الأفعال من الأفراد يحوله إلي عادة مجتمعية؛ يُفسر الواقع من خلالها، ومع مرور الزمن تثبت هذه الأفكار في عقول الأفراد، سواء كانت صالحة أم فاسدة، وتصبح راسخة في العقل الجمعي.

كما أشارت كذلك دراسة الغنام (حرية الإرادة،٢٠٠١، ٥٤) أن من مبررات عجز المجتمع عن إبداع حلول لمشكلاته، انسحابه إلي تقليد الآباء والأجداد، والافتخار بإنجازاتهم وتراثهم الذي يغطي معظمه العجز والنقص.

وترجع هذه القوة التي اكتسبتها التقاليد والعادات إلي ما أشار إليه دور كايم في كتابه "تقسيم العمل الاجتماعي" إلي أن قوة التقاليد إنما هي صفة الأشخاص الذين ينقلونها ويلقنونها –القدماء– فهم التعبير الحي عنها، وهم يتمتعون بنفوذ لا شيء يمكن أن يُعوض عنها، ومن ثم فإن الاحترام الكبير الذي يحيط بهم يمتد بصورة طبيعية إلي كل ما يصدر عنهم، وعلى ذلك فإن سلطة السن هي التي تنشيء سلطة التقاليد، وعندما يعيش الإنسان الراشد دومًا في الوسط الذي يعيش فيه، فإنه يظل خاضعًا لتأثيرهم، لأن عاطفته نحوهم تظل باقية، ومن ثم فإنها تُحد من نزوات التجديد، ولكي يتم بعض التجديد في الحياة الاجتماعية، فإنه لا يكفي أن تطل أجيال جديدة على النور، لكن يجب كذلك ألا تكون جدّ ملتزمة باتباع ضلالات الأجيال السابقة، وكلما كان تأثير هذه الأخيرة عميقًا؛ زادات العقبات أمام التغيرات (دور كايم، ١٩٨٢، ٣٣٢، ٣٣٣).

لذا نجد تحذير التربية القرآنية من الاتباع في سياقات مختلفة؛ فلا سلطة الكثرة والمجموع، ولا سلطة السن، ولا سلطة التقاليد والأعراف، هي التي تكون مصدر الحكم والإلهام

للأفراد، أو تكون الدليل والبرهان القاطع على توجيه سلوكهم واتخاذهم لقراراتهم، يقول الله ﷻ: {وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾}،{... وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾} {...وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾} القرآن الكريم، سورة يوسف، الآيات: ٢١، ٣٨، ١٠٣.

ومن ثم يتضح تشكل العقل الجمعي عبر مجموعة من العوامل الثقافية والنفسية والاجتماعية التي تؤثر على الفرد داخل الجماعة، فيتخلى تدريجيًا عن استقلالية تفكيره ليتماهى مع آراء وسلوكيات الآخرين؛ فيكتسب الفرد أنماط السلوك والتفكير من مجتمعه منذ الطفولة، فيتعود على قيم وأفكار قد لا تكون دائمًا صحيحة، لكنها تُمرر إليه كحقائق مسلمة.

٢- الانقياد العقلي:

إن المتأمل في الواقع الاجتماعي يلاحظ وجود فئة مجتمعية –كالقادة أو أصحاب النفوذ–، يمتلكون حق التصرف في القرارات، ويقع في سلطتهم وتحكمهم فئة كثيرة من الأفراد، وبحكم نفوذهم، فإنهم لا يريدون إلا تنفيذ أقوالهم وأفعالهم دون تمحيص أو نقد، مما يجعل أفراد المجتمع عرضة للانقياد الجماعي حتى وإن كان القرار خاطئًا، وهذا ما فعله فرعون بتغييب عقول بني إسرائيل بحكم سلطته عليهم بالظلم والاستبداد والقهر والطغيان.

كما ورد في كتابه ﷻ: {..... قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾} القرآن الكريم، سورة غافر، الآية: ٢٩، ومعنى ما أريكم: ما أجعلكم رائين إلا ما أراه لنفسي، أي ما أشير عليكم بأن تعتقدوا إلا ما اعتقده، أي لا أشير إلا بما هو معتقدي، فهو لا يريد أن يترك لأي نصيحة مدخلاً إلي نفوس ملئِه خيفة أن يتأثروا (ابن عاشور، ج ٢٣، ١٩٨٤، ١٣٣)، وقد عارض فرعون موسى، وغرر لقومه أن يتبعوه، واستخف بهم ليتابعوه، ليقيم بهم رياسته، ولم يرَ الحق معه، بل رأى الحق مع موسى، وجحد به مستيقنًا له، وزعم لقومه أن في اتباعه اتباع الحق (السعدي، ٢٠٠٢، ٧٣٧).

ونجاحه في ذلك؛ مرده إلي حيلته في استجلابه للعقول وتهيئتهم الفكرية بكافة الوسائل، وإقناعهم بحثيثات مواقفه المزعومة، بأنه دائمًا على صواب، ومع سلطته عليهم ونفوذه؛ أصبح خضوعهم سهلاً لتحقيق أهدافه الخاصة، وقد ورد في قصة أصحاب الكهف مثالاً لغلبة أصحاب

السيادة، في قوله تعالي: { وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾} القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية: ٢١، يقول السعدي (٢٠٠٢، ٤٣٧) إن الذين غلبوا هم الذين لهم الأمر. حيث عمل برأيهم مع أن الرأي الآخر أقرب إلي الصواب.

فالغالبين على الأمر هم أصحاب الكلمة والنفوذ وليس من أهل العلم، والذي غلب على أمره هو الذي حيل بينه وبين ما يريد أن يفعل، وهذا يحتاج من الإنسان إلي مجاهدة كبيرة لتحكيم عقله والنظر في الأمور بتدبر وروية، والبعد عن الانسياق بسرعة وراء أغلب الآراء، حتى يستطيع السير في طريق سليم ومستقيم، يقول الله ﷻ: {وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾} القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

ومن ثم فإن إضفاء صفات التبجيل والتفخيم والتقديس على أشخاص لا يستحقون ذلك، من أجل تحقيق مصالح يسعى إليها، أو من أجل التعبير عن مشاعر عبودية وتبعية متأصلة فيه، لا يعود إلا بخيبة الأمل، وعليه يجب التخلص من الأعباء التي يُحملنا إياها تبجيل الأشخاص الذين لا يملكون أي شيء يقدمونه للمجتمع على مستوى من المستويات، ولا نمنح العصمة لاجتهادات السابقين، ولا نتعامل مع الأطر الحضارية والصيغ الحضارية بعقليات مغلقة وشعارات متوارثة لم تحظ بأي اختبار (بكار، ٢٠٠٣، ٣٤، ٣٥، ٤٤).

٣- المسايرة الاجتماعية

يسلك بعض الأفراد طريق الموافقة الظاهرة مع الجماعة بدافع المجاملة أو لتجنب الصدام، مما يعزز من ترسيخ المواقف الجماعية حتى لو كانت ضد القيم أو المصلحة العامة؛ مثل اتخاذ التصنع، واللين، والسكوت، والملاطفة مع الناس، وإظهار خلاف ما يعتقد به الفرد تحقيقًا لمصلحة معينة، أو إخفاءً لحقيقة، أو تغافلاً، وكل ذلك من أساليب تعطيل العقل وتقييد حرية التفكير، للحفاظ على الود والمحبة المصطنعة، أو لضعف قدرته على مواجهتهم بالحقائق، بل وإظهار الرضا والثناء بما هم عليه من غير إنكار عليهم، ولا مخالفتهم، بل السير في طريقهم، ويمثل كل ذلك بيئة خصبة لنمو العقل الجمعي المنغلق.

يقول الله ﷻ: { أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾}، القرآن الكريم، سورة الواقعة، الآية: ٨١، "أي: أفبهذا الكتاب العظيم والذكر الحكيم أنتم مدهنون أي: تخفون وتدلسون خوفًا من الخلق وألسنتهم؟ وهذا لا ينبغي ولا يليق، إنما يليق أن يُدهن بالحديث الذي لا يثق صاحبه منه (السعدي، ٢٠٠٢، ٨٣٦)، والمُدهن هو الذي يُظهر خلاف ما يبطن، وتأتي معنى الإلانة، أي لا تتراخو في هذا الحديث وتدبروه وخذوا بالفور في اتباعه، وفُسر –أيضًا– بالتهاون وعدم الأخذ بالحزم، وليس إصرارهم على التكذيب إلا مداهنة لقومهم خشية إن صدقوا أن تزول رئاستهم. (ابن عاشور، ج ٢٧، ١٩٨٤، ٣٣٨، ٣٣٩).

يقول الله ﷻ: {وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾} القرآن الكريم، سورة القلم، الآية: ٩، فقد ود المشركون لو توافقهم على بعض ما هم عليه، إما بالقول أو بالفعل أو بالسكوت، عما يتعين الكلام به، ولكن اصدع بأمر الله، وأظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره بنقض ما يضاده، وعيب ما يناقضه (السعدي، ٢٠٠٢، ٨٧٩).

وفي تفسير آخر: "أي ومما يؤكد لك عدم مشروعية طاعتهم فيما يطالبون ويقترحونه عليك أنهم ودوا أي تمنوا وحبوا لو تلين لهم فتمالئهم بسكوتك عن آلهتهم فيدهنون بالكف عن آذيتك بترك السب والشتم" (الجزائري، م٢، ٢٠٠٢، ١٦٦٣).

وقد تكون المداهنة للرياسات الدنيوية أو الدينية، أو لعامة الناس والنزول على رأي الأغلبية منهم خشية الانفراد برأي أو موقف لا يرضوه، ولكن الفرد مأمور بأن تكون له الشخصية المؤثرة إيجابًا في مجتمعه، أما المداهنة لمجتمعه لن يسلم منها حيث الشقاء لتعطيله أهم طاقاته وهي التفكير (حنايشة، ٢٠٠٩، ٧٨).

ومن ثم فإن المسايرة الاجتماعية بأشكالها المتعددة؛ تعطل التفكير الحر، والنقد الخلاق، والموضوعية في إصدار الأحكام، وإنكار كل ما يتعارض مع المنطق العقلي، وتسمح بتكرار الأخطاء، وتضعف مسئولية الأفراد في التصرف عما يدور في مجتمعهم؛ لشعورهم بأنهم لا شأن لهم بها، ما داموا يحصلون على مكاسبهم ومنافعهم، ومع تكرار أساليب المداهنة عبر المواقف المختلفة تغدو طباعًا في الفرد لا يتركه، وعادات سلوكية في المجتمع تنتشر بين أفراده.

٤- الانتماء والولاء المجتمعي

يسهم الانتماء إلي جماعة أو حزب أو التعلق برفقة بعينها، وحضور مجالس ذات توجه فكري محدد، في ترسيخ الولاء داخل النفس الإنسانية، حتى يغدو دافعًا لا شعوريًا للانحياز والدفاع عن أفكار الجماعة، وتتحول هذه الأفكار إلي مرجع موجه لسلوكهم وأفعالهم، ومع الوقت، يرفض الفرد أي نقد موجه لتلك الجماعة، وتضيق مداركه عن قبول أي توجيه يخالفها، مما يعوق نموه الفكري والسلوكي.

فلغة التيارات مهما القناع التي تتستر خلفه هي دومًا لغة مؤسسة ما، لغة تؤسس مذاهب فكرية وعائلات فكرية، وتظل دومًا نموذجًا في تنقلاتها الفكرية وتجنح نحو الثبات والاستقرار، وإذا كان الفكر يتميز بقدرته على الترحال والتجول في الأنظمة المعرفية، فإن التيارات تستقر في موقع بعينه، ومهما تكن فهي مدٌ جارف لمن تريد أن تجرفهم وتجرهم وتفكر بهم بدل أن تترك لهم حرية التفكير والإبداع (عجمية، ٢٠٢٣، ٤٣)

ويقص الله ﷻ علينا قصة الملكة الفطنة –ملكة سبأ– ليوضح من خلالها مدى تأثير الجماعة التي تتنمي إليها عليها،: {وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴿٤٣﴾} القرآن الكريم، سورة النمل، الآية: ٤٣، أي صرفها عن عبادة الله مع علمها وذكائها ما كانت تعبد من دون الله؛ اتباعًا لقومها إذ كانوا يعبدون الشمس من دون الله، فهذا سبب عدم إيمانها وتوحيدها وهو ما كان عليه قومها، وهذا يوضح مضار التقليد وما يترتب عليه من التنكر للعقل والمنطق (الجزائري، م ٢، ٢٠٠٢، ١٠٧٩، ١٠٨٠).

وقد ذكر "إنها كانت من قوم كافرين"، دلالة على تمكنها من عبادة الشمس، وكان ذلك التمكن بسبب الانحدار من سلالة المشركين، فالشرك منطبع في نفسها بالوراثة، وتغلغل في نفسها وبنشأتها عليه وبكونها بين قوم كافرين، فمن أين يخلص إليها الهدى والإيمان (ابن عاشور، ج ١٩، ١٩٨٤، ٢٧٤، ٢٧٥).

كما يوضح الله ﷻ الجمود والانعلاق الفكري في فكر بني إسرائيل في اتباعهم للأحبار والرهبان: {ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾} القرآن الكريم، سورة

التوبة، الآية: ٣١، فسبب جمودهم هو قبولهم قول علمائهم وعبادهم والإذعان له والتسليم به حتى أنهم ليحلون لهم الحرام فيحلونه، ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه، ولم يأمرهم أنبياؤهم كموسى وعيسى وغيرهما إلا بعبادة الله تعالى وحده (الجزائري، مج١، ٢٠٠٢، ٥٤٧).

وقد عاب القرآن الكريم هنا على طريقة الجمود الفكري التي اتبعوها، فهو يمنع العقل من التكيف المطلوب مع الواقع المعاش، ويقرر على الأجيال المتعاقبة الرضى بما هو كائن، فيحرم الأمة من النهوض والتقدم بعد كل عثرة، ويترك أثارًا غير صحيحة عن الدين وأهله (الشهواني، ٢٠٢٢، ٢٢١).

كما أشار القرآن الكريم إلي الابتعاد عن رفقة بعض المجالس؛ خشية طغيان تأثيرها السلبي: **{وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾} القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية: ٦٨.**

فقد أمر الله ﷻ رسوله، وأمته، بالإعراض عمن يتكلمون بما يخالف الحق، وتجنب حضور مجالسهم، ومشاركتهم في القول والعمل، أو السكوت عنهم، وعدم إنكارهم، حتى يخوضوا في كلام غيره، وفي ذلك حث على البحث والنظر والمناظرة بالحق (السعدي، ٢٠٠٢، ٢٦٠).

فالله سبحانه وتعالى يحدد للإنسان سبل الوقاية، وهو الابتعاد والتجنب خشية التعلق برفقة معينة لها أفكار ومعتقدات مخالفة لما تبتغيه ثقافة مجتمعه، وخشية تقوية انتماءه لها وتحزبه معهم، وعندئذٍ يغدو محاصرًا ومقيدًا بأفكارها؛ فهى لا ترى إلا أنها صائبة تسعى للخدمة والإصلاح، ولكنها في حقيقة الأمر تنشر ضعف الثقة وإحباط الأفراد واستخفافهم تجاه جهود مجتمعهم الحقيقية، وتعرقل الإبداع والابتكار.

ويقول الله ﷻ: {فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾} القرآن الكريم، سورة المؤمنون، الآية: ٥٣، **{مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾}** القرآن الكريم، سورة الروم، الآية: ٣٢.

أي أن أتباع الأنبياء صاروًا فرَقا وأحزابًا وجماعات، كل حزب يفرحون بما هم فيه من الضلال، ويعجبون بما هم عليه، معتقدين أنه الحق الصريح، ويحسبون أنهم مهتدون، وهذا ذم واضح للتفرق والتشتت، وما هم عليه من اختلاف؛ إنما هو بحسب أهوائهم وعقولهم، وإصرارهم على ما توارثه من عقائد محرفة ومشوهة (الزحيلي، م ٩، ٢٠٠٩، ٣٨٤، ٣٨٧).

وليُنظر –مثلاً– إلي أغلب الفلاسفة المعاصرين الذين تريد التيارات أن تجرفهم في مجراها؛ يعلنون تبرؤهم من هذه التيارات، "فماركس" مؤسس الماركسية ليس ماركسيًا، لأن الماركسية كنظرية لتغيير الواقع وتطويره تتحول إلي تيار في نظرية جامدة وميتة عندما تحاول الحفاظ على طرقيتها فقط في التحليل، وتحولت إلي مجموعة من الأفكار والقواعد الجامدة في طريقة تعاطيها مع الواقع نفسه، وانتقلت من وسيلة من وسائل الاتفلات من القهر، إلي نوع من السلطة تشد أنصارها إلي ثوابت بعينها، ومن ثم عندما تصبح الأفكار تيارًا تفقد جوهرها الفكري وغناها العقلي، وتتحول إلي شعارات تقتل الفكر بدل أن أن توقظه، وكيف يُنظر إلي طبيعة فكر يكون أداة لتحليل الواقع، ومن ثم إلي أداة للمحافظة على هذا الواقع وتحجيم دوره في الفاعلية والحركة!!! (عجمية، ٢٠٢٣، ٤٣).

ومن ثم فإشاعة روح التحزب يجعل المجموعة التي ترى أنها مستقيمة جدًا في سلوكها، ومصيبة جدًا في اجتهادها ومذهبيتها، مضطرة إلي أن تنظر إلي من يخالفها أنه منحرف ومخطيء جدًا، لأن ذلك هو الذي يجعل رؤيتها لنفسها أشد وضوحًا وأعظم تبلورًا، أما المجموعة التي تعتقد أنها مصيبة ومستقيمة، وعندها بعض الأخطاء في السلوك في الاجتهاد، فإنها تكون قادرة على رؤية الاستقامة في السلوك والصواب في الاجتهاد لدى من يخالفها في منهجيتها، وبذلك تتوفر أرضية لقبول النقد ومراجعة الذات وفهم الآخر والتعاون معه (بكار، ٢٠٠٩، ٣٠، ٣١).

وفي هذا السياق يذكر عبد الكريم بكار (٢٠٠٣، ١٨١، ١٨٢) مثالاً لما لاحظه في تعود بعض الذين ينتمون إلي جماعة أو حزب، أو يعملون في مؤسسة إلي إطلاق العبارات الرنانة حول فضائل العمل الجماعي، وهم يبالغون في ذلك إلي أن ينسبوا إلي الفريق أو الجماعة التي يعملون بها ميزات وخصائص ليست لها، ويستمرون في التهوين إلي حد التهوين، من شأن الإنجازات الفردية، وهم قلما ينتبهون إلي أن هناك كثيرًا من الأشخاص الذي ينتمون

إلي جماعات لا يتمتعون بأي درجة من الفعالية، وليس لهم أي إنتاج فكري أو تربوي ذي قيمة، كما لا ينتبهون في الوقت نفسه إلي أن هناك أفرادًا كثيرين يقومون بأعمال ضخمة تعجز عنها مجموعات من الناس

وخلاصة ذلك، إن ارتباط الإنسان بجماعة فكرية أو فئة معينة؛ فإنه غالبًا ما يتبنى مواقفها دون تمحيص، بدافع الولاء والهوية، مما يغذي تبني المواقف الجمعية بطريقة غير نقدية، وهكذا يتكون ويُبنى العقل الجمعي من تكرار هذه الآليات السابقة، ويصبح قوة دافعة تؤثر على السلوك العام، سواء بالإيجاب أو السلب، وفقًا لطبيعة الجماعة ومبادئها، ووفقًا لطبيعة التربية التي نشأ عليها أفراد المجتمع.

المحور الثاني: التداعيات والانعكاسات السلبية للعقل الجمعي على وعي الفرد والمجتمع.

يتحول العقل الجمعي عند غياب الوعي والتفكير النقدي من قوة بناءة إلي قوة ضاغطة تفرض أنماطًا فكرية وسلوكية سلبية على الأفراد؛ ويؤدي ذلك إلي ظهور مجموعة من الممارسات التي تضعف من شخصية الفرد، وتؤثر سلبًا على وعيه، كما ترسخ الجمود الفكري داخل المجتمع، وتعيق تطوره، ولعل من أبرز هذه الانعكاسات السلبية ما يلي:

ا- سطحية التفكير

يغيب عن الأفراد في ظل العقل الجمعي الميل إلي التفكير النقدي والتحليل المنطقي، مما يجعلهم أكثر تقبلاً للأفكار السائدة دون تمحيص أو فحص، وينتج عن ذلك نمط من التفكير السطحي، مما يعرضهم لتبني المفاهيم الخاطئة، والانجراف وراء الشائعات والمعلومات المضللة، ولكن لو تأمل هؤلاء عقولهم لفترة وجيزة لأدركوا أن الله ﷻ حباهم بعقل مرنٍ؛ يتسع تفكيره من خلال الخبرات والتجارب، ومن خلال التجديد والتطوير في ثقافة المجتمع.

ويعلل نيكولاس كار (٢٠٢١، ٥٢) على ذلك بقوله: "هناك العديد من الأسباب التي تجعلنا ممتنين لقدرة معداتنا العقلية على التأمل بشكل سريع مع تجاربنا، حتى إن أكبر الأدمغة سنًا يمكنها تعلم حيل جديدة، إذ أن قدرة الدماغ على التكيف لم تؤد إلي علاجات جديدة وأمل جديد لهؤلاء الذي يعانون من إصابات الدماغ أو أمراضه فحسب، بل إنها تقدم لنا جميعًا المرونة العقلية والرشاقة الفكرية التي تسمح لنا بالتأقلم مع الأوضاع الجديدة، وتعلم المهارات الجديدة، وتوسيع آفاقنا بشكل عام".

وقد ذمَّ القرآن الكريم هذا المنهج في التفكير ولامَ أصحابه ووبخهم على سطحية تفكيرهم وعدم موضوعيتهم، وثقتهم فيما وجدوا عليه آباءهم، وتمسكهم بعاداتهم وموروثهم، بل وتبرير ذلك، بأنهم وجدوا آباءهم يفعلون ذلك، ومن ثم ساروا على نهجهم دون أدنى تفكير، وأدنى توجه نحو العلاقات والمآلات التي تجلو لهم الأمر (حوامدة، ٢٠٠٣، ٥٩٩).

فعندما جاء سيدنا موسى عليه السلام بالبينات، ما كان من العقل المتسلط وأتباعه إلا أن: { قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾} القرآن الكريم، سورة يونس، الآية: ٧٨، كما حذر القرآن من حماقة وسطحية تفكير أفراد العقل الجمعي: {بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾} القرآن الكريم، سورة الزخرف، الآيات من ٢٢ إلي ٢٤.

فالتعبير بـ (وجدنا) لما فيه من إشارة إلي أنهم نشأوا عليها وعقلوها، وأنها كانت أحوال آبائهم وذلك مما يزيدهم تعلقًا بها تبعًا لمحبة آبائهم، لأن محبة الشيء تقتضي محبة أحواله وملابساته، وفي ذلك إشارة إلي أنها عندهم صواب وحق، لأنهم قد اقتدوا بآبائهم، وقد جاءهم موسى لقصد لفتهم، فكان ذلك محل الإنكار عندهم؛ لأن تغيير ذلك يحسبونه إفسادًا، وجملة "وما نحن لكما بمؤمنين" تفيد الثبات والدوام وأن انتفاء إيمانهم بهما متقرر متمكن لا طماعية لأحد في ضده (ابن عاشور، ج١١، ١٩٨٤، ٢٥٢، ٢٥٣).

فقد قال لهم رسولهم: أتتبعون آبائكم ولو جئتكم بأهدى؛ أي بخير مما وجدتم عليه آباءكم هداية إلي الحق والسعادة والكمال، وهذا إنكار من الرسول عليهم في صورة استفهام وهو توبيخ أيضًا إذ العاقل يتبع الهدى جاء به من جاء قريبًا كان أو بعيدًا، وما كان منهم إلا أنهم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون وجاحدون منكرون غير معترفين. (الجزائري، م ٢، ٢٠٠٢، ١٤١٨).

وهذا هو ما سببه الجهل، فما يُلاحظ في بعض المجتمعات –مثلاً– من تثبيت الأفراد لبعض العادات والموروثات الثقافية، دليلاً على سطحية تفكيرهم، فلم يسمحوا لأنفسهم بالتساؤل والتفكير في أبسط صوره؛ بأن هذا الفعل أو السلوك مغايرًا للصواب أو موافقًا له، فما دام أنهم يقومون به كما فعل أسلافهم، فهو دليل على صحته، ومن ثم فعند ظهور عقلاً فرديًا متفتحًا ينفى ذلك، يكون محلاً للمعارضة والإقصاء.

ويصبح الإنسان –عندئذ– كائنًا مجهولاً ومخفيًا بسبب اختفاء وعيه وخياره الذاتي، فتتوقف مهارة التفكير الناقد لديه، وترتفع أهمية المشاعر على المنطق والعقل، كما يغيب وعي الإنسان عن ذاته ورغباته وآرائه، فيشعر بعدم المسؤولية تجاه ما يفعله –لأنه يفعله بوعي جمعي لا فردي– ويكون من السهل عليه تقبل المعلومات الخاطئة والإشاعات بسهولة؛ بسبب غياب النقد والمنطق، وتصبح هذه البيئة بيئة خصبة للتعصب الفكري، وانتشار الاتجاهات العنصرية بسهولة للأسباب نفسها (الحزامي، ٢٠٢١، ٣٨٦).

ومثال آخر في قصة سيدنا آدم –عليه السلام– فهو لم ينقاد للخطيئة لخبث في طبيعته أو سوء في إرادته، وإنما خدعته كلمات عدو أقسم له تأكيدًا لكلامه وزعم أنه ينصحه، فاعتقد بسذاجته أنه حين يأكل الفاكهة المحرمة فربما يصبح نقيًا كنقاء الملائكة خالدًا كخلود الإله (علي، ٢٠٠٧، ١٣٤) ،{فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾} القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآيات: ٢٠، ٢١، وعلى الرغم من أن آدم كان منذ البداية محصنًا ضد المكائد المحتملة من عدوه، فقد نسي الإنسان الأول، وجاءت اللحظة التي لم يجد لنفسه فيها إرادة صامدة: { وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾} القرآن الكريم، سورة طه، الآية: ١١٥.

ومن ثم فإن سطحية التفكير لا تعني غياب الوعي أو المعرفة، فالعقل السطحي يتعامل مع كل ما يتعرض له كما تبدو في ظاهرها، ويتحول التفكير عنده إلي مجرد تكرار ميكانيكي خالٍ من النظر والتساؤل والوعي، فهو لم يحاول الربط والتنسيق بين ما عرفه، وبين ما ظهر له في سياقه، ولن يستطيع أن يرى ذلك إلا إذا تجاوز نظرته للأشياء إلي معناها العميق والرحب.

٢- تشكل الشخصية الاتكالية

تظهر هذه الشخصية نتيجة تجاوبها السريع للحلول التي يريدها فئة من المجتمع، وخضوعها لإرادته المتسلطة، ويقص القرآن علينا ما صنع فرعون بقومه في بداية دعوة موسى لبني إسرائيل، جادلهم بالبيان، ولكن عندما أخذته العزة بالإثم؛ بطش فيهم وأذاقهم العذاب وتغير حالهم، وما كانت عاقبتهم إلا زيادة في الجهل بالخضوع لرأيه، والجدل بمفاهيم الخوف منه، والجبن عن إدارة الحق، فكان التيه عن مطالب الرفعة والسيادة (البدراني، ٢٠٢١، ٥). فقال الله ﷻ::{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ } القرآن الكريم، سورة القصص، الآية: ٤.

فقد جعل قومه فرقًا ذات نزعات، كل منها تعادي الأخرى، وأغرى بينهم العداوة، ليتم ضرب بعضهم ببعض، وما فعل ذلك بهم إلا لأنه عدَّهم ضعفاء، أي أذلة، فاحتقرهم واستخف بحقوقهم، ولم يعبأ بجلب الصالح لهم ودفع الضر عنهم، بل سخر من استطاع منهم لخدمة أغراضه، وفعل منهم ما يرضي شهوته وغضبه (ابن عاشور، ج ٢٠، ١٩٨٤، ٦٧، ٦٨).

فاستضعاف فرعون لبني إسرائيل؛ لأنه رأى منهم أنهم لا منعة لهم تمنعهم مما أراده فيهم، فصار لا يبالي بهم ولا يهتم بشأنهم، وبلغ به الحال إلي تذبيح أبناءهم واستحياء نساءهم خوفًا من أن يكثروا، فيغمروه في بلاده، ويصير لهم الملك (السعدي، ٢٠٠٢، ٦١٢).

وهذه البيئة التي عاشوا فيها، أنتجت الشخصيات الاتكالية التي عجزت وتخلت طوعًا عن مسئوليتها في اتخاذها لقرارتها واختيارتها، وانتظرت من يوجهها، بل وأصبحت عقبة أمام الشخصيات المستقلة والمسؤلة، فقد غابت إرادتهم، وذواتهم، وأصبحت عقولهم مكبلة، يعيشون في المجتمع اعتمادًا على غيرهم في قضاء حوائجهم، عاجزين عن امتلاك استقلاليتهم، وتحرير عقولهم.

فعنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا» (الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول اللَّهِ ﷺ: باب ما جاء في الإحسان والعفو، حديث رقم ٢٣٨٠، ١٩٩٦، ٤٥٤) فالإمعة هو "الرجل الذي يكون لضعف رأيه مع كل واحد، والمراد هنا

من يكون مع ما يوافق هواه ويلائم إرَب نفسه وما يتمناه (المباركفوري، ١٩٧٩)، وهذه الشخصية الإمعية: فاقدة الإرادة، لا يُعتمد عليها ولا الثقة فيها، ولا رأي لها وإنما الرأي هو رأي من يكون هو الغالب، ومثل هذه الشخصية يصعب أن يكون لها دور في مسيرة التغيير سواء كان ذلك على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي (علي، ٢٠١١، ٢١).

وتجدر الإشارة إلي أنه لا يتحمل الفرد وحده مسؤليته عما يأتي من فعل أو قول، بل هناك أيضًا مسئولية جماعية يحملها المجتمع ومن هم في موقع القيادة منها؛ لتحفظ الأخلاق العامة، وتقيم الحدود، وتوفر الشروط الأساسية للأفراد والجماعات، كي يمكن لها أن تقوم بما هي مكلفة به، وذلك من شأنه أن يوفر العدل (علي، ٢٠٠٧، ١٣٦، ١٣٧).

ومن ثم يتأثر تشكل الشخصية الاتكالية بضغط العقل الجمعي حين يفقد الفرد وعيه النقدي، فيُظهر خضوعًا تامًا لما هو سائد، بل ويفتقد الجرأة على استخدام عقله، فقد استكان لما منحه الآخرين، وحين يحاول اتخاذ قرار ما؛ ينتابه القلق والخوف، فقد اعتاد على التوجيه الخارجي، مما يعيق بناء شخصية مستقلة مسئولة، ويضعف من التنمية الذاتية والمجتمعية.

٣- تقييد الإبداع الفردي

إن جوهر أو أساس عمل الدماغ أنه غير مبدع لأنه يعتمد أنماط ثابتة في العالم الذي يعتمد على الخبرات التي تشكل أنماطًا ثابتة، وهذا ما يعطي النظام والحياة معنى، ولكن تحتاج هذه الأنماط إلي التغيير بين الحين والآخر، وتحتاج إلي الهرب من الزاوية العمياء أو من الأنماط القديمة التي تمنع من الحصول على فوائد الأنماط الجديدة، لذلك يجب على عملية الإبداع أن تأخذ مكانها كعملية مهمة في التفكير، بهدف فتح واكتشاف طرق وقنوات جديدة للنظر للأشياء، ومن ثم فإنها أداة وُضعت لتوضح أن بعض الأفكار يمكن أن يتم تناولها بعيدًا عن نظام الحكم المعتاد، وهذه القدرة على استخدام الأفكار هي الأساس الكامل للإبداع وهو يعد سمة خاصة يمتلكها بعضهم، ولا يمكن للآخرين أن يكتسبوها (بونو، ٢٠٠٨، ٧- ١٢).

لذلك كلما زادات كمية الوعي والمعارف بشتى أصنافها تتوسع مداركنا العقلية وقدراتنا على التكيف والتعامل مع المحيط، وبقدر الغنى العقلي للإنسان تكون التداعيات أكثر تنوعًا وعددًا ويرتفع عنده مستوى الإبداع، ويدخل ضمن خصائصه الشخصية مثل (الطبع، واحترام الذات، والمسئولية تجاه المجتمع، وفهمه للمشكلات والقواعد الأخلاقية (عجمية، ٢٠٢٣، ٣٢، ٣٥).

ومن هنا فإن الاستخفاف بعقول الأفراد في المجتمع، وضعف الاعتداد بها، يحولها إلي شخصية رتيبة في عزلة فكرية، تنخفض فيها أدنى مستويات ومقومات التفكير، وتضعف معها طاقاتها الإبداعية، وقد أشار القرآن الكريم إلي ذلك في استخفاف فرعون بعقول قومه، عندما احتج بشيء من العقل الخادع، وبيَّن لهم أنه يأخذ بأسباب الدليل لدحض حجة موسى، فقال ﷻ: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾} القرآن الكريم، سورة القصص، الآية: ٣٨.

وقد نجح في ذلك؛ حيث ظهر لقومه في مظهر المتطلب للحق المستقصي للعوالم، حتى إذا أخبر قومه بعد ذلك بأن نتيجة بحثه أسفرت عن كذب موسى؛ ازدادوا ثقة ببطلان قول موسى عليه السلام، وهذا فيه من الدلالة على سوء انتظام تفكيره وتفكير ملئه، أو مبلغ تحيله وضعف آراء قومه، وهذا من فساد تفكيره، إذ حسب أن السماء يُوصل إليها بمثل هذه الصرح ما طال بناؤه (ابن عاشور، ج ٢٠، ١٩٨٤، ١٢٢، ١٢٣).

ويقول الله ﷻ: {فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ } القرآن الكريم، سورة الزخرف، الآية: ٥٤، فهنا استخف فرعون لقومة السفهاء، أخِفَاء العقول، وقال لهم: أنا وحدي إلهكم ومعبودكم، ولو كان ثمَّ إله غيري لعلمته، فانظر إلي الورع التام من فرعون، حيث لم يقل "ما لكم من إله غيري" بل تورع وقال: "ما علمت لكم من إله غيري"، وهذا لأنه عندهم العالم الفاضل الذي مهما قال فهو الحق، ومهما أمر أطاعوه، ثم أراد أن يحقق النفي فقال "لهامان" أن يجعل له بناءً ليتوصل إلي إله موسى، ونريكم كذبه، والعجب من هؤلاء القوم، الذين يزعمون أنهم كبار المملكة المدبرون لشؤونها، كيف أفسد عقولهم، واستخف بها، وهذا لفسقهم الذي صار صفة راسخة فيهم (السعدي، ٢٠٠٢، ٦١٦).

ويُشبه بونو (٢٠٠٨، ٣٩، ٤٢) الأفكار المهيمنة في المجتمع بالطريق السريع الذي يعمل به التفكير، وجوانب الطريق لا يتم رؤيتها بسهولة بسبب صغرها، لكن إذا ما تم الأخذ بهذه الطرق الصغيرة والسير بها، فإنها يمكن أن تؤدي إلي طريق أعرض وأكثر فائدة، ومن ثم يمكن الهرب من التفكير والفكرة المهيمنة التي يمكن أن تقود إلي أفكار جددة ومفيدة، وفي

معظم الظروف والمواقف هناك أفكار مهيمنة، ومن أجل إيجاد أفكار جديدة قد تحتاج إلي استكشاف الفكرة السائدة، وبعد ذلك الهرب منها نحو أفكار جديدة.

ولذلك على الفرد اكتشاف الأفكار المهيمنة والسائدة في المجتمع ليتخطاها، لا لتُقيده بحركتها التقليدية، بل يتعامل معها على أنها منطلقًا فقط، يوجهه، وليس بغرض معارضتها فقط، فإذا عارض كل فكرة سائدة، فمن أين ينطلق ويبدع، وهذا يحتاج قدرًا من الفهم والوعي والمعرفة للتمييز بين الأفكار السائدة والمهيمنة للانطلاق منها.

ومن ثم فالسيطرة المفرطة للعقل الجمعي تؤدي إلي ضعف روح المبادرة وتقييد الإبداع الفردي، والاضطرار للامتثال لما هو موجود من أفكار ومعايير اجتماعية، خشية الرفض أو التعرض للانتقاد من الجماعة، مما يعزز الكسل الذهني والانسحاب، وتدريجيًا يجد الفرد معزولاً عن ذاته وممن حوله، غير قادرًا على التعبير عن نفسه أو آرائه، ويتحول العقل الجمعي من أداة للتماسك والتميز الاجتماعي إلي أداة للتهميش، ومن هنا تُكبت وتُهمل الطاقات الفردية، ويفقد المجتمع فرصًا حقيقية للنمو والتجديد.

٤- الاضطراب الانفعالي

يُمَكن الضبط الانفعالي والعاطفي الفرد من التعامل الواعي مع المواقف المختلفة، واتخاذ قرارات متزنة بعيدًا عن الاندفاع، أو التأثر المفرط بالمحيط، إلا أن العقل الجمعي، بما يحمله من ضغوط وقيود وآراء سائدة، وفي ظل تغلب المشاعر الجمعية، يؤدي إلي اضطراب في ضبط الانفعالات، وتضاؤل في القدرة على اتخاذ قرارات رشيدة.

وقد أكدت ذلك دراسة (الحزامي، ٢٠٢١، ٣٧٨) أن الأفراد في إطار العقل الجمعي يمكن تسييرهم بالعاطفة أو التعاطف للتحرك اجتماعيًا على أرض الواقع مع المثيرات الحسية أو العاطفية بشكل أسرع، وأن الروابط المعرفية والعاطفية المشتركة تكون في أعلى حالاتها في حالة العقل الجمعي، فالأفراد في هذه البيئة يتعودون على تقييم المعرفة والحجة حسب المؤيدين، أو حسب رأي الآخرين، دون تقييم منطقي لهذه المعرفة أو الآراء.

ولعل ذلك يرجع إلي الخصائص التي تتميز بها الجماعات، كما جاء في التفسير الذي قدمه (لو بون،١٩٩١، ٦٣- ٦٦) أن من خصائص الجماهير (الجماعات) سرعة الإنفعال، والعجز عن المحاكمة العقلية، وانعدام الرأي الشخصي والروح النقدية والمبالغة في العواطف والمشاعر، فهي تستطيع أن تعيش كل أنواع العواطف وتنتقل من النقيض إلي النقيض بسرعة،

وذلك تحت تأثير ما تريده في اللحظة التي تعيشها، فتتغير وتتنوع وتتقل عواطفها بسرعة، وهذا يفسر قدرتها على التوجيه السريع لعواطف الجمهور باتجاه محدد.

وقد حذر الله نبيه، بقوله تعالي: {فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾} القرآن الكريم، سورة الروم، الآية: ٦٠، فقد نهاه عن الانفعال والاهتزاز لكلام من حوله، أو التحرك واضطراب النفس لأقوالهم، إذ هم لا يقين لهم ولا بصيرة، فلا يحملنك شيء على الخفة والطيش، والقلق، جزعًا من أقوالهم وأفعالهم، فإنهم قوم ضالون، واصبر وتابع أداء رسالتك، ولا يستفزنك الذي لا يوقنون بالله ولا بالله الآخر، فالله ناصرك وحافظك من الناس، وخاذلهم وهازمهم (الزحيلي، ٢٠٠١، ٢٠١٤).

والخفة هنا مستعارة لحالة الجزع وظهور آثار الغضب، وهي مثل القلق من اضطراب الشيء، ونهى الرسول عن أن يستخفه الذين لا يوقنون ؛ نهي عن الخفة التي من شأنها أن تحدث للعاقل إذا رأى عناد من هو يرشده إلي الصلاح، وذلك مما يستفز غضب الحليم، وأسند الاستخفاف إليهم لأنهم سببه بما يصدر من عنادهم (ابن عاشور، ج٢١، ١٩٨٤، ١٣٥).

وقد وصفهم عز وجل بالذين لا يوقنون، حيث لم يتكامل لديهم الوعي الجمعي، وإنما دعواتهم عشوائية غير محسومة النتائج، يغلب عليها الانفعالات وردود الأفعال العاطفية، لذا حذر الله النبي منهم في بناءه للمجتمع (الرواحنة، والخصاونة، ٢٠١٦، ١١٠٤).

وقد يرجع ذلك إلي العلاقة الوظيفية التي تربط بين العقل والوجدان، فتأثر أحدهما ينعكس في سلوك الجانب الآخر، فالضغوط النفسية والوجدانية التي تُحدثها العقول الجمعية بشكل تدريجي وخفي، تبطيء من عمل العقل، وتُضعف قدرته على استخدامه بشكل صحيح، وتجعله في تشتت وصراع فكري بين أفكاره وأفكارهم، ولا مناص من ذلك إلا بعودة الفرد إلي هدوءه، واتزانه النفسي والانفعالي، ليتسنى له التمييز والحكم.

وقد أشارت إلي ذلك دراسة (بكار، ٢٠٠٩، ١٧) بأن العواطف تؤثر بقوة في عمل العقل، وخضوع العقل للرغبات أمر مشهود، ولا سيما عند ضعف الوازع الأخلاقي وتحلل الشخصية؛ ومن ثم فإن الضغوط التي تمارسها أفراد الجماعة على قائدها والمتمثلة في أهوائها وميولها ورغباتها؛ ليسير في طريق على خلاف قناعاته، تؤدي إلي ضياعهم، وعدم وصولهم إلي ما يريدون، وتمنعهم من الوصول للرأي أو الرؤية والموقف المطلوب.

كما وُجد أنه حينما يفقد الفرد الوعي الذاتي، تسيطر المشاعر على تصرفاته: (الحزن، والفرح، والغضب...)، وتتحول التصرفات غير المقبولة إلى مقبولة بسبب انتشارها في المجموعة المحيطة، ويشعر الفرد بمجهوليته داخل مجموعة كبيرة، وبالتالي يغيب الشعور بتحمل المسؤولية بشكل كبير، ومع انتشار الحماس والإثارة الجماعية تظهر عقلية الغوغاء (الحشد) ويتحول أفراد العقل الجمعي لغوغاء أو ما يسمى بحشد الشغب في بعض الحالات بسبب اعتيادهم طريقة التفكير الجمعية (الحزامي، ٢٠٢١، ٣٨٧).

ومن ثم تنشأ حالات من الاندفاع، والإحباط، والتذمر، والغضب، والتسخط، والحرمان، والتظلم، فعقلية المجموع تتبع دائمًا الانفعال الطارىء، ولا تتنظر وتتريث لتفكر، وتبرر وتفكر في النتائج، ومن هنا فإن الفرد في سياق التفاعل الجمعي، يغلب عليه ردود الأفعال الاندفاعية –كالغضب والحماس الزائد– بدلاً من التفكير العقلاني، مما يُفقد الجماعة توازنها واستقرارها.

المحور الثالث: وسائل بناء العقل الجمعي في ضوء فلسفة التربية القرآنية.

لا يمكن الجزم بأن الفرد قادر على التحرر التام من تأثير العقل الجمعي، أو الانفصال عنه، ولكنه يمتلك الإرادة والقدرة على تنظيم أفكاره وتوجيه وعيه ضمن هذا السياق، ويُعلي القرآن الكريم من شأن العقل، وبناء وعي جمعي مبني على التفكير والنقد، والتمييز بين الصواب والخطأ، ويتجلى هذا التوجيه الإلهي من خلال مجموعة من المباديء والوسائل التربوية التي ترسم ملامح الوعي الجمعي الرشيد، ومن أبرز هذه المباديء ما يلي:

١- التوازن بين التفكير الفردي والجماعي

يعد التوازن بين التفكير الجماعي والفردي من الركائز في تكوين الوعي السليم، حيث لا يُغني أحدهما عن الآخر، فالتفكير في إطار جماعي (مثنى)، أو بشكل فردي (فرادى)، يُظهر أهمية التفكير المشترك في توليد الرأي السديد من جهة، وأهمية الخلوة العقلية التي تتيح للفرد التحرر من ضغط الجماعة وتكوين قناعاته الذاتية من جهة أخرى، ولكون الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، فإنه لن يعيش في عزلة وفراغ، بل يتأثر بالثقافة السائدة في مجتمعه من حيث الأفكار والمعتقدات والعادات، وقد يخضع أحيانًا لتقليد الجماعة في التفكير والتصرف، حتى وإن تعارض ذلك مع قناعاته الشخصية.

فقد أكدت دراسة (ألوت،٢٠١٦، ٢) أن المجتمعات التي ننتمي إليها هي التي تحدد كل لحظة من لحظات حياتنا، وما يصدر عن العقول الجمعية فيها؛ يطغى على صمت العقول

الفردية، ومن الصعب على الفرد التفكير بمفرده عندما يكون مضطرًا إلى قضاء وقت طويل في التفكير مع مجموعة؛ إذ تملأ الأيديولوجيا الاجتماعية ذهنه ويتعامل معها كما لو كانت من بنات أفكاره هو.

يقول الله ﷻ: {قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾} القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية: ٤٦، أي آمركم وأنصحكم بخصلة واحدة، هي قيامكم في طلب الحق بالفكرة الصادقة، والتأمل الذاتي المجرد، دون تأثر بهوى أو عصبية، متفرقين اثنين اثنين، أو واحدًا واحدًا، لأن الاجتماع والتجمهر يشوش الفكر، وينشر الغوغائية والفوضى، ويثني الفكر عن الصواب، ثم ينصح بعضكم بعضًا بإخلاص أن ينظر ويتفكر في حقيقة أمر النبي، فللكلمة المتأنية والفكرة الهادئة دور حيوي، لذا دعاهم إلي إعمال الفكر بطريقة تدعو إلي الهدوء والتروي والمناقشة المنطقية المقبولة (الزحيلي، م ١١، ٢٠٠٩، ٥٤٧، ٥٤٨).

وأوضحت الآية ضرورة التفكير بعيدًا عن المؤثرات الخارجية، والعادات والتقاليد، والتيارات السائدة، لأن العقل الذي يفكر بعيدًا عنها يصل إلي الحق والخير، ويقدر الواقع الذي يواجهه من غير زيف ولا دخل، بعيدًا عن الهوى والمصلحة، الذي يحجب صفاء الحقيقة، فقوله "فرادى" هو دعوة لتفكر المرء مع نفسه في تمحيص هادىء عميق، وقوله "مثنى"، ليراجع أحدهما الآخر، ويأخذ معه ويعطي في غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارىء ولا تتريث لتتبع الحجة في هدوء (عبد النبي، ٢٠١٠، ٥٨٦).

ويقول عز وجل: {قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ... ﴿٥٧﴾} القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية: ٥٧، {وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ... ﴿١٣﴾ } القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية: ١٣ ، {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ... ﴿١٠٥﴾} القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية: ١٠٥، فتوضح الآيات امتلاك الفرد لفكر مستقل، وقناعة شخصية، وأنه مسئول عن اختيارته الفردية، وأن الوعي يبدأ من الفرد، ويقول الله سبحانه وتعالي: {فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ

﴿أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ القرآن الكريم، سورة الغاشية، الآية: ٢١، ٢٢، فتدل أن دور الجماعة أو القائد هو التوجية والنصح لا السيطرة على عقل الفرد.

ومن ثم فهذه دعوى من الله تعالى بأن ينعزل الإنسان بوعيه وجسمه عن الوسط الذي يعيش فيه، وعن أفكاره ومفاهيمه ورواسبه، ثم يقوم بالتفكير والتأمل ليرى الأشياء بعيدًا عن سلطة الجماهير وسلطة العقل الجمعي القاهر، ولا بأس أن ينعزل اثنان عن ذلك الوسط من أجل التحاور وتلقيح الأفكار في سبيل استبانة وفهم الأمور على ما هي عليه (بكار، ٢٠١٠، ٦٤).

لذلك فإن إحداث التوازن المطلوب بينهما بمثابة هدنة فكرية للعقل لاستعادة نشاطه وحيويته، فكثرة المتغيرات والعوامل والمشتتات التي تحيط به؛ تجعله في حاجة إلي إعادة النظر في انسياقه للكل والجمع، واستعاده نضجه ووعيه واستقلاليته، ليجمع بين حريته لرأيه ومسئوليته الاجتماعية، وهذا يصبح التوازن بين العقل الفردي والجماعي شرطًا لنهضة مجتمع متماسك.

٢- التحرر الفكري والثقافي

إن الجماعة ليست في حقيقتها –عندما يُنظر إليها بمنظار التربية– ليست الأفراد الذين يكونوها، وليست الأجيال المتعاقبة عن هؤلاء الأفراد، وإنما تكمن حقيقة الجماعة في الثقافة التي تتوراثها الأجيال المتعاقبة، ومن هنا فالأفراد يذوبون في كل جماعة، وتبقى الثقافة، فهي لا تذوب أبدًا لأنها واجهة الجماعة ومرآتها، فالثقافة لأية جماعة ما هي إلا خبرات تراكمية، وإذا تعرض الفرد لتربية لم تعطه ثقافة مجتمعه، أو أعطته صورة خاطئة من هذه الثقافة، فإن ذلك ينعكس على الفرد وعلى الجماعة (المرصفي، ١٩٨٣، ٥، ٦)

وقد يرجع ذلك إلي اعتماد الأفراد في تفكيرهم على استخدام المفاهيم ووجهات النظر المرسومة من مجتمعاتهم، والنماذج العقلية، والمعتقدات والممارسات الاجتماعية، وغالبًا ما تصبح متجذرة بعمق في الأفراد، ويعدونها أمرًا مفروغًا منه باعتبارها "حقائق اجتماعية" حتمية؛ تشكل فهمهم لما هو صحيح، وما هو طبيعي، وما هو ممكن في الحياة، وبالتالي تؤثر هذه النماذج على ما يدركه الأفراد وكيفية تفسيرهم لما يدركونه، ولكن عندما تؤثر سلوكيات المجموعة على التفضيلات الفردية وتتحد التفضيلات الفردية في سلوكيات جماعية، يمكن أن

ينتهي الأمر بالمجتمعات إلى نشاطات مشتركة غير صحيحة أو حتى مدمرة للمجتمع (world development report, 2015).

ومن ثم تشكل المسلمات والموروثات الثقافية عبر الأجيال نمط التفكير الجمعي، وحيث إن العقل لا يُبنى على التلقين والانقياد، بل على النقد والتفكر، فإنه وجب التحرر من التبعية المطلقة لهذه الموروثات بما لا يعني القطيعة معها، بل يقتضي تمييز النافع منها عن المعوق، لإحداث التوازن بين مستجدات الواقع وأصالة هذه الموروثات.

وفي هذا السياق أشار عبد الكريم بكار (٢٠٠٩، ١٠٨، ١٠٩) إلي أن حاجتنا إلي القديم يجب أن تتجسد في جعله مواد يشتغل عليها العقل اقتباسًا وتوظيفًا وتعديلاً ونقدًا، لا أن نستغنى عنه ونصبح أسرى له يبعدنا عن الواقع المعاش، ويضر بحرية التفكير؛ حيث إن العقل البشري لا يملك المرونة الكافية للتخلي عن الأفكار والمعلومات القديمة، بل وتقديسه لكثير من آراء العلماء السابقين، مع أن ما تراكم لدينا من معلومات وخبرات ومفاهيم، يجعل ما يقدسه ضربًا من الوهم والخرافة، دون أن يكون قادرًا على نقدها وتمحيصها، وبيان ما تحتمله من تعديل وتهذيب.

كما أشار في موضع آخر إلي أن جوهر التقدم العقلي يرتكز إلي حد بعيد على مدى قدرتنا على امتحان الأفكار والمفاهيم والمشاعر الموروثة، والتأكد من الوضعية المناسبة لها في منظوماتنا الثقافية والقيمية الجديدة، فبعض الأفكار الموروثة نشأ بسبب وجود الأمية، أو بسبب أسلوب متصلب في التربية، أو بسبب عُرف اجتماعي غير صحيح، ونحن في حاجة إلي غربلة ما ورثناه من مفاهيم ومقولات وانطباعات عن طريق النقد الدقيق والتأمل العميق والتحاكم إلي الخبرات الجديدة (بكار، ٢٠٠٣، ١٥٩، ١٦٠).

وقد نعى القرآن الكريم على المقلدين أن يهملوا الاستخدام الصحيح للعقل، ودعاهم إلي التفكير المنطقي الهاديء، وأسهم في تحرير عقولهم من الجهل والتقليد والتعصب الأعمى، من خلال منهج الإسلام في تدريب الطاقة العقلية على طريقة الاستدلال المثمر، والتعرف على الحقيقة من خلال وسيليتن: الأولى؛ التوجيه والتدريب بتفريغ العقل من كل ما علق به مما لا يقوم على يقين، بل على التقليد والظن، ثم بعد ذلك التثبت من كل أمر قبل الاعتقاد به واقتفائه،

أما الوسيلة الثانية فهي تدبر قواميس الكون؛ حيث يُعَود العقل على دقة النظر وانضباط الأحكام (المرصفي، ١٩٩٠، ٢٥٣- ٢٥٩).

يقول الله ﷻ: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾} القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية: ١٠٤، {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾} القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ١٧٠، فهو يرغبون عن اتباع ما أنزل الله استئناسًا بما ألفوه مما ألفوا آباءهم عليه، وما تقلدوه، من سادتهم وكبراءهم، وقد أنزلهم منزلة من لا يعقل الحجج والدلائل، وهو دليل على المنع من التقليد، فلو كان للمقلدين قلوب يفقهون بها لكانت هذه كافية بأسلوبها لتنفيرهم من التقليد، إذ العاقل لا يُؤثر على ما أنزل الله تقليد أحد من الناس، وإن كبر عقله وحسن سيره (رضا، م ٢، ٢٠١١، ٩١).

والمقصود هنا بتقليد الآباء هو الخضوع لسلطان العادات والأعراف التي يتوارثها الناس عن آبائهم وأجدادهم، وقد حارب هذا النوع من التقليد إلا أن يقوم عليه دليل غير كونه مما توارثه الناس عن آبائهم، ولعل تسفيه أحلام الآباء والأجداد كان من أكثر ما يثير أهل الجاهلية، ويبعث فيهم الحنق والغضب، فكثيرًا ما كانوا يستثيرون الناس ويحرضونهم على الدعوة الجديدة بقولهم إنه يسفه أحلام الآباء ويستخف بعقول الأسلاف ويصفهم بأنهم لا يعقلون (العقاد، ٢٠٠٧، ١٧).

وفي هذا الإطار يعرض حامد عمار (٢٠٠٧، ٧٥) رأيه في ذلك: إن انتفاء التناقض بين الأصالة والمعاصرة، واعتبار التناقض بينهما قضية وهمية وغير موضوعية وغير تاريخية، فالتحدي المطروح هو مواجهة حاضرنا ومستقبلنا بمعاصرة أصيلة، وأصالة معاصرة، ومن هذا المنطلق تصبح الأصالة هي تحريك الأصول المجتمعية المعاصرة والموروثات الحضارية الحية في الحاضر بطريقة مبدعة تفرضها الحلول الملائمة لتحريك الأصول، وليس فرض حلول مستمدة من واقع أو معطيات خارجية، من أجل تطوير الحاضر واقترابًا متزايدًا من تحديد الأهداف المرحلية والغايات النهائية.

لذا يقتضي من الفرد المراجعة الواعية والجادة للموروثات الثقافية التي تشكل جزءًا من الهوية، دون أن تكون قيدًا يُحد من انطلاق الفكر، ولا يعني ذلك إلغاء التراث، بل التعامل معه ببصيرة متفتحة، وهذا يتطلب تربية من المجتمع تستند إلي قيم التفكير الحر، واحترام التنوع، والقدرة على التمييز بين الثابت والمتغير، ومن ثم فإن الاستقلالية العقلية، وتجنب الاحترام الزائد للآراء الشائعة، والقدرة على تقويم ما يُعرض على العقل، والثقة فيه بقدرته علي ذلك، حتى وإن أخطأ، يساعد الفرد على تجنب التقليد، والتقيد بالقواعد والعادات الموروثة، وإعادة بناء العلاقة والتكامل بين الأصالة والمعاصرة في بناء الإنسان والمجتمع.

٣- العزلة الفكرية والاجتماعية

إن الاعتزال كوسيلة لبناء العقل؛ لا يُفهم على أنه هروبًا سلبيًا أو عزلة عن الواقع، بل فعلٍ مقصود وواعٍ لاستعادة قدرة الفرد على صفاء ذهنه وروحه، والنظر النقدي الحر، وهو ليس دائمًا بل مؤقتًا؛ يُمكن الفرد من الانفصال عن البيئات التي يشيع فيها الجمود، والهيمنة.

فقد يتحتم على الفرد في بعض السياقات، أن ينعزل فكريًا أو اجتماعيًا حفاظًا على مبادئه، كما فعل سيدنا إبراهيم يقول الله عز وجل: { وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾} القرآن الكريم، سورة مريم، الآيات: ٤٨، ٤٩، وكما فعل الفتية في قصة أهل الكهف، يقول الله ﷻ:{هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾} القرآن الكريم، سورة الكهف، الآيات: ١٥، ١٦.

فقد صمم أهل الكهف على الفرار بدينهم، فاعتزلوا قومهم، وفارقوهم عزلة مادية بالمفارقة بالأبدان والمقر والمقام، وعزلة معنوية بمخالفتهم في دينهم، واعتزالهم معبوديهم غير عبادة الله وحده، فأخلصوا العبادة لله في مكانٍ خالٍ بعيد، فبسط الله لهم رحمة سترهم بها من قومهم، وسهل لهم أمورهم (الزحيلي، م ٨، ٢٠٠٩، ٢٤١، ٢٤٢).

وقد قال بعضهم لبعض: إذا حصل لكم اعتزال قومكم في أجسادكم وأديانكم، فلم يبق إلا النجاء من شرهم، والتسبب بالأسباب المفضية إلي ذلك، لأنهم لا سبيل لهم إلي قتالهم ولا بقائهم بين أظهرهم وهم على غير دينهم، فاختفوا في الكهف ودعوا ربهم بأن يهييء لهم من أمرهم رشدا، فجمعوا بين التبري من حولهم وقوتهم، والالتجاء إلي الله في صلاح أمرهم، فحفظ الله أديانهم وأبدانهم، ويسر لهم كل سبب، ونشر لهم من رحمته (السعدي، ٢٠٠٢، ٤٧٢).

وقد عالج الفتية أثر ضلال العقل الجمعي لقومهم؛ بأن أعتزلوهم واعتزلوا آلهتهم، ولجئوا إلى الكهف مشكلين بذلك وحدة شعورية ناجمة عن تحرر العقل وما كان ذلك إلا للهداية الربانية والإيمان الراسخ لهذا العقل والذي تحرر وتمايز عن عقل المجموع (الكومي، ٢٠٢٠، ٥).

فسمح لهم الاعتزال بأن يفكروا في هدوء وروية بعيدًا عن هيمنة التقاليد الجامدة، وضغط الموروثات الاجتماعية والثقافية، ومن ثم فإن الاعتزال كما صوره القرآن الكريم ليس انسحابًا سلبيًا من المجتمع، بل لإعادة بناء الذات وتحرير العقل، ليصبح عضوًا فاعلاً في بناء وتجديد ثقافته.

ويسوق نيكولاس كار (٢٠٢١، ١٥٧، ١٥٨) توضيحًا لذلك: "إننا إذا ما ركزنا بشدة أكثر من اللازم على مشكلة صعبة، فإننا نَعْلق في ثغرة عقلية، فتضيق حدود تفكيرنا، ونعاني دون جدوى للتوصل إلي أفكار جديدة، ولكننا إذا ما تركنا المشكلة جانبًا لبعض الوقت –أي إذا ما تريثنا في الأمر– فإننا في الغالب نعود إليها بنظرة جديدة وإبداع متقد، ويضيف –أيضًا– أنه علينا ثني عقولنا بشكل مؤقت ومتعمد عن التفكير بأمر ما بقصد إعادة تجديد تفكيرنا عند النظر في قرار ما، إذ تعيق ضوضاء المحفزات التفكير الواعي واللاواعي علي حد سواء، فتمنع عقولنا من التفكير العميق أو التفكير الإبداعي، فتتحول أدمغتنا إلي وحدات بسيطة، تقود المعلومات بسرعة إلي العقل الواعي، ومن ثم إلي خارجه مرة أخرى.

لذا يسهم الاعتزال –المؤقت/ الانتقائي– في بناء مجتمع أكثر وعيًا؛ حيث يمنح للفرد فرصة للتأمل الفردي، واستعادة قدرته على التفكير الحر والنقدي المستقل، ليعود بعد ذلك مسهمًا ومؤثرًا إيجابيًا في بناء عقلاً جمعيًا أكثر وعيًا ونضجًا.

٤- الرفض والمواجهة الواعية

لا تُبنى العقول بالطاعة والقبول المطلق لكل ما موجود وسائد، بل تتشكل من خلال الرفض الواعي والمسئول؛ الذي يميز بين ما يجب تغييره أو الإبقاء عليه، ومن ثم فهو يفتح بابًا

للإصلاح والتغيير، ومن ثم فهو ليس مجرد موقف انفعالي قائمًا على التمرد، بل هو فعلٍ يقوم على إدراك الحقيقة والتمييز بين الصواب والخطأ، مما يجعل منه قيمةً ومرتكزًا لبناء شخصية ناقدة ومستقلة.

وقد أولى القرآن الكريم هذه القيمة اهتمامًا بالغًا، فلم يكتفِ بالدعوة إلي الإيمان، بل يحث على رفض الباطل بوعي وشجاعة، وذلك في وصفه لما فعله سحرة فرعون، حين تبينت لهم الآيات التي جاء بها موسى، فأعلنوا رفضهم لاتباعه، وواجهوه، يقول الله ﷻ:{قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣} القرآن الكريم، سورة طه، الآيات: ٧٢، ٧٣.

فعندما هدد فرعون السحرة المؤمنين بالقتل والصلب على جذوع النخل لإيمانهم بالله وكفرهم به، قالوا لن نؤثرك يافرعون على ما جاءنا من الدلائل والحجج القاطعة على أن رب موسى وهارون هو الرب الحق الذي تجب عبادته وطاعته، فلن نختارك على الذي خلقنا فنؤمن بك ونكفر به، لن يكون هذا أبدًا، واقض ما أنت عازم على قضائه علينا من القتل والصلب في هذه الحياة الدنيا لما لك من السلطان فيها، أما الآخرة فسوف يقضى عليك فيها بالخلد في العذاب المهين، وأكدوا إيمانهم في غير خوف ولا وجل (الجزائري، م ٢، ٢٠٠٢، ٨٩٤).

وقد استغرب فرعون منهم ذلك، لذلهم وانقيادهم له في كل أمر من أمورهم، ولكن لما عرف السحرة الحق ورزقهم الله من العقل ما يدركون به من الحقائق، قالوا لن نختارك وما وعدتنا به من الأجر والتقريب، على ما أرانا الله من الآيات البينات الدالات على أن الله هو الرب المعبود وحده، فاقض ما أنت قاض مما وعدتنا به من القطع والصلب والعذاب (السعدي، ٢٠٠٢، ٥٠٩).

ويلاحظ من الآيات السابقة أن السحرة عاشوا سنين تحت سيطرة العقل الجمعي وضلال سطوته، وقد تماشت عقولهم الفردية وتناغمت مع العقل الجمعي دون تمايز ولا تباين بينهما، فساروا مسيرة القطيع، ولما سنحت لهم الفرصة ورأوا الآيات البينات التي جاء بها موسى، تم تشغيل ما عطل من العقل الفردي وأعلنوا الرفض التام للمجموع نظرًا لقوة الآيات فقالوا "فاقض

ما أنت قاض، وقد صرخ فيهم فرعون معلنًا رفضه التام لتحرر عقولهم فقال: آمنتم به قبل أن آذن لكم: أي أن خروجكم عن العقل الجمعي دون إذن مني لهي عقوبة تستوجب القتل وتقطيع أطرافكم، وما كان فرعون ليقدم على هذا إلا لعلمه الشديد بأثر هؤلاء على ثقافة المجموع وهذا أشد ما يخشاه فرعون، وكان إعلانًا على الملأ؛ رفعة لموسى وأخيه وإذلالاً لفرعون وحاشيته (الكومي، ٢٠٢٠، ٥، ٦).

وتنجم قدرة الفرد على مواجهة الواقع والحقائق كما أشارت دراسة (عبد المنعم، وعبد الحليم، ٢٠٢٠، ٨٥) إلي قدرة الفرد العقلية وامتلاكه للآليات التي يتعامل بها مع المتغيرات، فهو يستطيع أن يستفيد مما هو إيجابي وأن يحول ما هو سلبي إلي إيجابي، وامتلاكه للمعلومات والمعارف بما يكفيه لمواجهة المتغيرات الطارئة، ومن ثم يكون عقل الفرد في حالة نشاط دائم لإحداث تفاعلات مستمرة بين الخبرة الجديدة والمخزون العقلي لديه لإنتاج السلوكيات الملائمة التي تمكنه من المواجهة المستمرة لأي موقف يتعرض له.

ومن ثم فتربية هذه القيمة لا تُنشيء أفرادًا متمردين عبثًا، بل تزرع فيهم شجاعة الوعي، والمواجهة الصادقة، والقدرة على التغيير، دون تردد أو مجاملة، وتحمل تبعات ما يواجهه في سبيل ترسيخ الحقائق، كما تُثبت حقهم في الاختيار والمسئولية، فهي دليلاً علي وعيهم ونضجهم بأسباب اختيارتهم ومبادئهم.

٥- بناء العقلية الناقدة

إن الوحي منذ أول نزوله قام بتحريك ملكة النقد الفطرية الأصيلة للإنسان؛ عندما أعاد بناء الثلة الأولى أو الجيل المعياري؛ والتي غطتها سطوة الجهل والجاه والمال والقبيلة، فنفض الغبار عنها، فكانت النواة لترسيخ البنيان ثم تشييده حتى وصل بالعقل إلى مرحلة النضج في النقد، وكانت الآيات كثيرة النقد للظواهر الحياتية والاجتماعية للمجتمع الجاهلي؛ كنقد الموروث الاجتماعي العميق الجذور، كوأد البنات، وغيرها، كما جاءت الكلمات القرآنية عميقة الدلالة صريحة المعنى (الشهواني، ٢٠٢٢، ٤٨)، يقول الله ﷻ:{وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩} القرآن الكريم، سورة التكوير، الآيات: ٨، ٩.

ولكن الله ﷻ عندما وضع النقد والإنابة والمحاسبة في فطرة الإنسان، لم يتركها بدون نماء، بل أرسل الرسل وأنزل الكتاب الكريم وما فيه الإشارات والدلالات المباشرة وغير المباشرة

لعملية النقد، فكان البناء الحقيقي للعقلية الناقدة من خلال القضايا الكثيرة التي عرضها على الإنسان في صراع الخير والشر، والتمييز بين الحق والباطل، وأن الخطأ وارد، وأن النفس قد تزل، لكن الله ترك خط الرجوع إلى درب الاستقامة مفتوحًا **ومطلوبًا** بشرط النقد والمحاسبة (الشهواني، ٢٠٢٢، ٥٢). يقول الله ﷻ:{ **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾** } القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

لذا يرتبط النقد بالبناء وتقدمه، وهو مرتبطًا بطريقة التفكير التي تعود عليها الأفراد، فهو يتجاوز طريقة التفكير التقليدية السطحية؛ إلي السبر في أغوار الأفكار واكتشاف ما خفى من معانيها، وما وراء ظواهرها، ليحللها ويفسرها في ضوء معايير وسياقات مرتبطة بثقافة مجتمعه.

ويصف حامد عمار التفكير النقدي (١٩٩٧، ١٤٩- ١٥٢) بأنه يكاد يمثل الوجه الآخر لعملة التفكير العلمي والموضوعي، وهو لا يعني مجرد الرفض أو التفنيد والمعارضة لما هو قائم، ولا يكتفي بالأشكال الظاهرة في واقعها المحدد بالزمان والمكان الراهن، فهو يتجاوز الظواهر والمعطيات كما تبدو في صورتها العينية في زمان ومكان معين إلي النبش من خلال مختلف أدوات المعرفة ومقارباتها إلي أبعاد الظاهرة طولاً وعرضًا وعمقًا، بحيث يتم تجسيدها والتعرف على خلفياتها وديناميا‌تها، مما يسهل عملية التفسير والتغيير لتلك المعطيات.

وتتضمن أهداف التفكير النقدي: إثبات وجهة نظر، أو تفسير معنى، أو حل مشكلة، وهو يتعلق بكيفية التعامل مع المشكلات والأسئلة والقضايا، وهو شكلاً من أشكال الحكم المدروس أو اتخاذ القرارات، لذا فإن تعليم الأفراد اتخاذ القرارات الصائبة، وتهيئتهم لتحسين مستقبلهم، ليصبحوا أعضاء فاعلين في مجتمعهم، أفضل من تحمل عواقب اتخاذ القرارات الخاطئة، وإثقال كاهل المجتمع بالعواقب غير المرغوبة، والتي يمكن تجنبها لتلك الخيارات السيئة .(Facione, p., 2013, 2,10)

ومن الآيات الكريمة التي اتضح فيها ذلك، نقد القرآن لأصحاب الجنة الذين ابتلاهم فتابوا ورجعوا إلي طاعته، يقول الله ﷻ: **{إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَـٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾**

فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾... } القرآن الكريم، سورة القلم، الآيات من ١٧ إلي ٣٢، وذلك عندما عزموا على منع المساكين من ثمار جنتهم التي كان والدهم يمنحهم منهم ويعطيهم شكرًا لله وأداء لحقه، وحلفوا بذلك وانطلقوا صباحًا لقطع ثمارها قبل أن يطلع عليها المساكين، فأرسل الله عليها نار أحرقتها وجعلتها كالليل الأسود، وأصبح يلوم بعضهم بعضًا على خطئهم، وقال لهم أوسطهم وهو خيرهم تقوى وأرجحهم عقلاً ورشدًا: ألم أقل لكم هلا تستثنون أي لم يقولوا إلا أن يشاء الله، فقالوا إنا كنا ظالمين طاغين ومتجاوزين لحدود الله، وأنابوا بهذا الاعتراف، ورجعوا إلي أنفسهم باللوم وإلي الله بالتوبة ولم ييأسوا من رحمته (الجزائري، م ٢، ٢٠٠٢، ١٦٦٥).

ونقد القرآن –أيضًا– لأبي لهب بطريقة النقد المباشرة، يقول الله ﷻ:{ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾} القرآن الكريم، سورة المسد، الآيات من ١ إلي ٣، أي خسرت يده أي عمله، وخسران ماله وولده، لما سخط الله عليه فلم يغن عنه ولم يدفع عنه العذاب ماله ولا ولده (الجزائري، م ٢، ٢٠٠٢، ١٧٩٣، ١٧٩٤).

كما يقرر القرآن قاعدة أساسية مهمة في بناء الإنسان، وهي قاعدة نقد الذات، لمعرفة أخطائها وسلبياتها. يقول الله ﷻ:{فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ } القرآن الكريم، سورة النجم، الآية ٣٢، { وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾} القرآن الكريم، سورة الشمس، الآيات من ٧ إلي ١٠، فينهى الله عباده عن تزكية الإنسان نفسه بادعاء الكمال، وعن الشهادة عليها بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي؛ الأمر الذي يكون فخرًا وإعجابًا محبطًا للعمل، فهو أعلم بكم من أنفسكم (الجزائري، م ٢، ٢٠٠٢، ١٥٤٤).

ومن ثم تكمن ضرورة عرض الرأي على العقل لبيان ما يقوم عليه من أسانيد، والكشف عن الثغرات إن وجدت، وإبراز الحسنات القائمة، وكل ذلك ما هو إلا صورة من صور التفكير النقدي؛ الذي هوة عُدة مهمة لا بد منها لأي فرد يريد أن ينفض عن نفسه غبار التخلف، ويسير على سنة التغير والتجدد (علي، ٢٠٠٦، ١٦٢).

ويحتاج نقد الذات أو غيرها إلي جملة من الخصائص والسمات لدى الفرد؛ أبرزها مستوى وعيه بما يدور حوله، فإذا كان هذا الوعي ضعيفًا أو مندمجًا كليًا في الوعي الجمعي؛

فلن يستطيع التحرر منه، طالما مستسلمًا بسلطانه عليه، تاركًا إرادته وسط إرادة الجماعة، دون أن يترك لنفسه حق المتابعة، والتحليل، والنقد والتقويم لجوانب أحوال مجتمعه.

كما أشارت دراسة (Facione, p., 2013, 11) إلي بعض ما يتميز به الناقد من صفات مهمة: كالفضول تجاه القضايا، والحرص على الاطلاع الجيد، واليقظة، والثقة بالنفس في قدرته على التفكير، والمرونة في النظر إلي البدائل والآراء ومراجعتها، وفهم الآخرين، والإنصاف في تقييم التفكير، والصدق في مواجهة تحيزات الفرد وأحكامه المسبقة وصوره النمطية أو ميوله الأنانية، والحكمة في تعليق الأحكام أو إصدارها أو تغييرها.

لذا فأي عمل قائم على التقويم والانتقاد، قادر على غربلة الأفكار وفحصها فحصًا موضوعيًا بعيدًا عن التبعية والارتهان مهما كانت طبيعة وجوده، فالبحث عن الحقيقة هو الطريق الأمثل للتفريق بين الأفكار بقدرتها على على ملاءمة الواقع وتحسين مستواه الفكري (عجمية، ٢٠٢٣، ٤٢).

لذلك فإن بناء العقلية الناقدة يسهم في تشكيل العقل الجمعي القادر على التفاعل الإيجابي والمشاركة الواعية؛ حيث لا تكتفي هذه العقلية بتلقي المعرفة بشكل سلبي، وإنما تمارس التفكير، والتحليل، والنقد، والتمييز، القائم على الفهم والتبصر العميق، لا على الانفعال والتبعية الفكرية.

٦- تنمية التفكير الإيجابي

لا يمكن أن يتشكل عقلاً جمعيًا منفتحًا بأفراد اعتادت النظر إلي الأمور من حولها بشكل سلبي منغلق، حيث يغدو تفكيرها محدودًا سطحيًا يركز على جانب واحد، ولا تعدو إلا أن تفكر في أحوالها وشئونها الخاصة، ولا تعبأ بما يدور حولها في المجتمع طالما لا تستفيد منه، فهي تنظر وتفكر دائمًا في العقبات والصعوبات لا الإمكانات المتاحة، وهذه الشخصية غير المتوازنة لن تكون قادرة على البناء والعمل.

والتفكير الإيجابي هو موقف ذهني نتوقع منه النتائج الجيدة والمرضية، ويعني في الواقع التعامل مع تحديات الحياة بنظرة إيجابية، ولا يعني ذلك تجنب أو تجاهل الجوانب السيئة، بل الاستفادة القصوى من المواقف السيئة المحتملة، ومحاولة رؤية أفضل ما في الآخرين، والنظر إلي النفس وقدراتها بإيجابية .(Wilson, L., 2017, 121)

أي أن الأفكار هي التي تحدد طريقة تفكيرنا، كما نبهت إلي ذلك دراسة (Anthony, R., 2004, 93) بأن كل ما يتوقعه الفرد يتحدد بالأفكار التي تشغل عقله، والعقل الباطن لا يشكك في صحة المعلومات التي نقدمها له، بل يعالجها ويجذب إلينا ما نعتقد أنه صحيح، ومن ثم فإذا كنا نرغب في تغيير بعض أنماطنا السلوكية، يجب أن نتصرف ونتفاعل بالطريقة التي نريدها في المستقبل، وبمجرد أن يستوعب عقلنا الباطن أي أفكار جديدة، سنتبنى تلقائيًا أنماط السلوك الجديدة.

وقد حرصت التربية القرآنية في بنائها وتربيتها لأفراد المجتمع على إذكاء روح التفاعل بين أفراده، فلا تقبل من الفرد أن يكون منكفئًا على ذاته ساعيًا وراء مصلحته الخاصة غافلاً عن أحوال ممن حوله، وتسعى إلي ذلك من خلال تشجيع التعاون، وبذل العطاء المعنوي والمادي كل حسب طاقته (رجب، ١٩٩٦، ٥٣)، كما سعت إلي ذلك بالدعوة إلي التفاؤل وغرس الأمل وحسن الظن بالله، والصبر، والتوكل، وعدم الاستسلام واليأس، والتعاون، وتقبل الآخر.

يقول الله عز وجل: ﴿...وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ .... ﴿٢١٦﴾ } القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٢١٦، ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ } القرآن الكريم، سورة النحل، الآية: ١٢٧، ﴿... إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾} القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية: ٨٧ ﴿... سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴿٧﴾} القرآن الكريم، سورة الطلاق، الآية: ٧، وغيرها من الآيات التي تحض على تبني النظرة الإيجابية، والتفكر، وبث الأمل والتفاؤل.

وتُفسر العَلاقة بين تشكل العقل الجمعي والتفكير السلبي أو الإيجابي، بما أشار إليه عبد الكريم بكار في كتابه "خطوة نحو التفكير القويم" بأن العقل الباطن لا يميز بين الدوافع التي دفعتنا إلي تبني الأفكار الإيجابية، أو السلبية، ولا في مدى صوابها، فإذا امتلأت عقولنا بالأفكار السلبية فإن العقل الباطن يتقبلها ويترجمها إلي أنماط سلوكية، والأشخاص الذي امتلأت قلوبهم بمشاعر الخوف واليأس والإحباط والشك والقلق، تتولد لديهم بشكل خفي الأفكار التي تعزز تلك المشاعر، وتصبح سلوكياتهم محددة، ورؤيتهم ضيقة للحياة، ويفترض موافقة جميع الناس له في تلك الرؤية، لأنه غير قادر على مناقشة أفكاره ولا أفكار غيره، ولا الموازنة

بينهما، كما أن طريقته في تفسير الأحداث والمواقف؛ تقوم غالبًا على أسس ومعلومات عتيقة، بسبب ضعف تفاعله مع الجديد، وضعف قدرته على الانتقال بين أساليب التفكير (بكار، ٢٠٠٩، ٨٨، ٨٩).

وثمة تفسير آخر يمكن الإشارة إليه في هذا السياق ما أكدته دراسة (عبد المنعم، وعبد الحليم، ٢٠٢٠، ٨٣) وهو استطاعة الفرد من خلال تفكيره الإيجابي التحكم في المعارف والبيانات والمعطيات الحسية التي يكتسبها من البيئة الخارجية، وهذا يعزز دور العقل في قبول أو رفض تلك المعلومات، وتلك العملية تدل على فاعلية الفرد وعدم سلبيته في استقباله للمتغيرات الحادثة من حوله، حيث يكون قادرًا على إحداث التفاعل بين المتغير الجديد الداخل إليه والمخزون الموجود في اللاوعي لإنتاج فكر جديد ومبدع يتلائم مع المتغيرات الحادثة التي يواجهها الفرد.

وحتى في حالة حدوث متغيرات لا يستطيع أن يستجيب لها عقل الفرد ليحدد كونها إيجابية أم سلبية فيقوم بتجاهلها؛ لا يمكن أن يسمى تفاعل الفرد في مثل هذه الحالة بسلوك سلبي فهذا التجاهل هو في حد ذاته سلوك تم تخزينه في عقل الفرد قد يرجع إليه في وقت لاحق (عبد المنعم، وعبد الحليم، ٢٠٢٠، ٨٣).

أي أن إيجابية الفرد في تفكيره؛ تجعله قادرًا على تحديد كيفية استقباله للمعلومات والمعارف من البيئة، فتُكسبه الوعي في تقرير ما إذا كانت هذه المعلومات تُفيده ويجب الاحتفاظ بها وتخزينها في منطقة الوعي، أم يتجاهلها أم يتفاعل معها لحظة اكتسابها؛ لكونها مسئولة عن اتخاذه لموقف سلوكي أو قرار معين.

وبالتالي يعد التفكير الإيجابي مدخلاً لتشكيل عقل جمعي منفتح؛ حيث يُكسب الفرد المرونة تجاه الأفكار والمواقف والتحديات، ويزيد من دافعيته وإنجازه، ومن قدرته على تقبل الاختلاف واحترام الرأي الآخر، مما يقلل من تحيزه وعداءه ضد المختلف معه، ويعزز الثقة المتبادلة، والمشاركة في اتخاذ القرارات بروح من التعاون والتسامح، وكل ذلك يسهم في تهيئة بيئة محفزة وآمنة تتيح للأفراد التعبير عن أفكارهم بحرية، وتسهم في تنمية الإبداع وحل المشكلات بطرق بناءة.

يتضح مما سبق عرضه، دور التربية القرآنية في الاهتمام ببناء العقل الجمعي في المجتمع؛ بل أرست له أسس تقوم على الوعي، والتمييز، والمسؤولية، والإيجابية، والاستقلالية، وذلك من خلال قصصه، وتوجيهاته، ومبادئه، ومفاهيمه التربوية، وأثبتت كيف يمكن للعقل الجمعي أن يكون أداة في بناء المجتمعات، وتحقيق الاستقرار، كما أن الوسائل التي اعتمدتها التربية القرآنية تمثل نموذجً تربويًا متكاملاً؛ يمكن أن تستلهم وتستفيد منه النظم والمؤسسات التربوية آليات فعالة لإعداد أجيال قادرة على التفكير النقدي، والعمل الجماعي، والتعاون، والمشاركة الإيجابية في بناء المجتمع.

المحور الرابع: أهم التطبيقات التربوية لمفهوم العقل الجمعي كما جاء في فلسفة التربية القرآنية

تبرز أهمية دور النظم والمؤسسات التربوية في بناء العقل، وتحرير الفرد من التبعية الفكرية، والانقياد غير الواعي للعقل الجمعي؛ من خلال قدرتها على توفير وتهيئة بيئات تعزز من التفكير المستقل، ومهارات النقد والتحليل، وتشجع على الحوار وتبادل الآراء دون إقصاء أو قمع، وتقديمها لنماذج فكرية وسلوكية ملهمة، تسهم في تكوين شخصية قادرة على اتخاذ القرار والتعبير عن الذات دون خوف أو تبعية.

وعليه يتناول هذا المحور عرضًا لجملة من الآليات المقترحة التي يمكن أن تقوم بها المؤسسات التربوية –الأسرة، والمؤسسات التعليمية، ووسائل الإعلام– في نقل المفاهيم والأفكار والقيم والمضامين المستنبطة من مفهوم العقل الجمعي في التربية القرآنية، والاستفادة منه في توجيه العملية التربوية بحيث تتحول إلي صورة عملية تسهم في تكوين وتشكيل وعي الأفراد وثقافتهم .

وسيتم معالجة التطبيقات التربوية من خلال الاسترشاد بوسائل بناء العقل الجمعي في التربية القرآنية –التي تم تناولها في المحور السابق–، بحيث تتحول هذه الوسائل إلي صورة قابلة للتنفيذ في الواقع التربوي والتعليمي، من خلال عرض الإجراءات العملية التي يمكن أن تقوم بها الوسائط التربوية في جميع هذه الوسائل والمحاور، وجاء التركيز عليها استنادًا إلي الأسباب التالية:

– أن الأسرة المؤسسة الاجتماعية والتربوية الأولى، وما يترسخ في نفوس الأفراد يبقى أثره لسنوات، وخاصة المراحل الأولى من العمر، ويعتبر مجتمع الأسرة مجتمعًا مصغرًا يسهم

في تشكيل العقل الجمعي لأفراده؛ بما يؤمنون به من مبادئ وقيم، وما يطبقونه من عادات وتقاليد تعكس ثقافتها، ومن خلالها تثمر بذور التفكير والتمييز بين الصواب والخطأ، لذا فإن لها دورًا كبيرًا في تنمية عقول أفرادها.

– إسهام المدرسة في تشكيل العقل الجمعي الواعي بشكل مباشر أو غير مباشر، باعتبار أن التنمية العقلية من أهم وأُولى وظائفها التربوية، من خلال ما تقدمه عناصر العملية التعليمية: المناهج، والأنشطة، ودور المعلم،...

– دور وسائل الإعلام في تشكيل العقل الجمعي، فهي لم تعد مجرد ناقل للأحداث، بل أصبحت أداة فعالة في توجيه الرأي العام وبناء التصورات المشتركة، من خلال التكرار والتركيز على قضايا بعينها، ومن ثم تخلق بيئة معرفية وثقافية تؤثر على الأفراد بشكل جماعي، فتتكون قناعات وأفكار مشتركة، قد لا يكون مصدرها التفكير الفردي الحر، بل التفاعل المستمر مع ما يُبث من مضامين إعلامية، كما يرجع إلي تنوعها بشكل كبير بين التقليدية (كالإذاعة والتليفزيون والصحف)، والحديثة (كالإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي) باختلاف أنواعها وتطبيقاتها.

أولاً- التوازن بين التفكير الفردي والجماعي

١- دور الأسرة

أ- تخصص وقتًا يوميًا للمناقشات العائلية لإتاحة الحوار والمشاروة فيما يخص شئونها، دون تمييز بينهم في المرحلة العمرية؛ لتدريبهم على فن الحوار والتفاوض، واحترام آراء الآخرين.

ب-يتروّي الآباء قبل توجيه اللوم أو العقاب، ومناقشة أسباب سلوكياتهم قبل الحكم عليها، أو اتخاذ قرارات تأديبية بشأنها، مما يُكسبهم التفكير الواعي المستقل الحر في إطار جماعي منظم.

جـ- يستخدم الآباء لممارسات انفعالية، وأساليب ضبط متزنة تجاه سلوكيات الأبناء؛ بما يتيح لهم التعبير عن ذواتهم دون خوف أو تردد، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم.

٢- دور المدرسة

أ- يتابع المعلم كل طالب بشكل فردي وفقًا لاحتياجاتهم، وتخصيص وقتًا للتفاعل وتقديم التغذية الراجعة لأدائهم.

ب- يلاحظ المعلم الطلاب أثناء استخدامه الأنشطة الصفية واللاصفية؛ لاكتشاف من لديه تفكيرًا غير تقليديًا، أو حلولاً مبتكرة، ولإتاحة الفرص أمامهم لإبراز ذكائهم، وقدراتهم الخاصة، لأن هذه الصفوة هي التي تتمتع بعقليات استقلالية حرة، ومرونة فكرية، تسهم فيما بعد في تشكيل العقل الجمعي الإيجابي في المجتمع.

جـ- تعزز المدرسة روح الجماعة من خلال الأنشطة والمشاريع التعاونية، مثل: إعداد المعارض العلمية، والأنشطة الفنية المشتركة، وإعداد اللوحات الجدارية، وتصميم مجلات الحائط الجماعية، وتصميم المواقع الإلكترونية، والأنشطة المسرحية الهادفة، والأنشطة الخدمية التعاونية.

د- تركز المناهج الدراسية على المحتوى الذي يرسخ قيم احترام الرأي الآخر، والتعددية، والعمل ضمن فريق، مثل: الإنصات للآخرين، واستخدام لغة حوارية مهذبة، وتجنب السخرية، وتقبل النقد بروح إيجابية، والمسئولية، والتعاون.

٣- دور وسائل الإعلام

أ- تقدم محتوى متنوعًا، يعرض الآراء المختلفة حول قضية واحدة من القضايا المجتمعية، مثل: قضايا التربية والتعليم، والشباب والمرأة والأسرة، والصحة والبيئة، حيث يفتح المجال أمام الأفراد لممارسة التفكير الحر، وتكوين رأي مستقل، وتقبل الرأي الآخر.

ب- تبث الأعمال الفنية والتراثية، وتغطيتها للمناسبات الدينية والقومية، وتسليط الضوء على القضايا الوطنية والاجتماعية، مثل: قضايا مواجهة الفكر المتطرف، ونشر الوعي بالقانون، والحقوق، وقضايا محاربة الفقر والبطالة والأمية، وأيضًا برامج ودعم اللغة المحلية أو القومية، لتدعيمها للهوية والانتماء للمجتمع وربط الفرد بموروثه الثقافي والحضاري.

جـ- تحقق التوازن في توجيه الخطاب الإعلامي؛ بتجنب التهويل، وتهييج الرأي العام، أو تهوين أحداث معينة، باختيار اللغة الهادئة والعقلانية، مما يسهم في توجيه الانفعالات والمواقف الجمعية، وتحقيق التوازن بين حرية التفكير الفردي والمصلحة الجماعية.

ثانيًا- التحرر من الجمود الفكري والثقافي

١- دور الأسرة

أ- يتعامل الآباء مع الاختلاف بصدر رحب؛ بتجنب التوبيخ على الآراء المرفوضة، والسماح للأبناء بإبداء وجهات نظرهم في كل ما يحيط بهم دون تردد أو خوف، ومن ثم يتشكل لدى الأبناء مفهوم السلطة بشكل صحيح بعيدًا عن مفهومهم الخاطيء عنها والقائم على الطاعة المطلقة والتبعية الكاملة.

ب-يناقش الآباء العادات والتقاليد المتوارثة داخل المجتمع؛ من خلال توجيه الأبناء لتجنب واستبعاد الموروثات القديمة التي يغيب فيها المنطق العقلي، سواءً كانت عادات دينية أو اجتماعية أو جسمية، أو عقلية، مثل: التمييز بين الجنسين، والتحيز الطبقي والنَسَبي، والخلط بين الدين والموروث الشعبي، والتدين الشكلي، واحتكار بعض المفاهيم الدينية، والخوف من التغيير،...

جـ- توعي وتوجه الأبناء في اختيارهم جماعة الرفاق؛ لما لها من تأثير كبير في غرس القيم والعادات والتقاليد المجتمعية، لسهولة اندماجهم معهم، وتقبلهم لها، ولطول الفترة الزمنية التي يقضيها معهم، ومن ثم قد تُحدث نوعًا من الضغط والتأثير على اختيار الفرد لقراراته وتحديد توجهاته في الحياة اليومية أو الدراسية أو المهنية، مما يؤثر في نموه العقلي، وتنشئته التربوية فيما بعد.

٢- دور المدرسة

أ- تحرص المدرسة على اختيار وتوزيع المعلمين بعناية داخل الفصول؛ من أجل القيادة الصالحة للمجموع؛ حيث ينحدر الطلاب من بيئات ثقافية واجتماعية مختلفة، وقد تضع المدرسة معايير لاختيارهم قائمًا على: اختيار المعلم الأنسب للبيئة التعليمية (ريفية، حضرية،...)، والكفاءة والخبرة التربوية، والذكاء الاجتماعي والنفسي.

ب- توعي الطلاب بجذورهم الثقافية من خلال المناهج الدراسية والأنشطة التعليمية؛ من خلال الرحلات التعليمية للمواقع الأثرية، واستخدام وسائل الإعلام المدرسية، ودعوة شخصيات محلية للحديث عن تاريخ المجتمع وثقافته، وتشجيع الطلاب على القيام بمشروعات بحثية عن تاريخ مدينتهم أو قريتهم.

جـ- تنمي الشجاعة الفكرية لدى الطلاب لمراجعة الممارسات والعادات الاجتماعية المتوارثة؛ من خلال تخصيص وقتًا لذلك، وتهيئة بيئة آمنة للحوار، واستخدام أساليب تعلم مختلفة: كالمناقشات الجماعية، أو المناظرات.

٣-دور وسائل الإعلام

أ- تسهم في نقل القيم الحديثة والعلمية، كالتقدم، والمساواة، والعقلانية من خلال نقل المعلومات، وجذب انتباه الجمهور في البرامج والمحتوى الإعلامي، وذلك وفقًا للأهداف المجتمعية التي يحاول المجتمع تحقيقها، وليس وفقًا للغايات التي يستهدفها القائمون بأمر الأجهزة الإعلامية.

ب- تتيح مناقشة القضايا المتعلقة بالتراث والثقافة، وإبرازها للجوانب السلبية في بعض الموروثات، من خلال استضافة المفكرين والعلماء، مما يدفع الأفراد لإعادة تقييم تلك التقاليد في ضوء المتغيرات العصرية، مثل: العصبية القبلية أو العائلية، والزواج القسري، واحتقار بعض المهن والوظائف، وربط النجاح بالشهادات العلمية، والعنف التربوي، والتركيز على المظاهر الاجتماعية، والدينية، وتقديس الكبار دون مناقشة،...

ثالثًا- العزلة الفكرية والاجتماعية

ا- دور الأسرة

أ- تبصر الأبناء بالتمييز بين العزلة الإيجابية والانطواء السلبي، وأنها لا تعني الانسحاب من المجتمع أو تجنب المشاركة الاجتماعية، بل هي خلوة مؤقتة لمراجعة الذات، وصفاء الفكر بعيدًا عن ضغط الجماعة، واختلاط الآراء، من خلال: تخصيص وقت للهدوء والتأمل الشخصي دون أجهزة أو ضوضاء "ساعات صمت رقمية"، واحترام جميع أفراد الأسرة لهذا الوقت، وتشجيع الهوايات الفردية، وكتابة اليوميات.

ب-تهيئ بيئة أسرية هادئة تشجع التأمل والتفكر، وخاصة أثناء الخلافات، والسماح للأبناء بمراجعة أنفسهم، ومعاودة النقاش مرة أخرى لحل المشكلات.

ج- توعي الأبناء بتقليل الاعتماد الزائد على الأصدقاء.

٢- دور المدرسة

أ- توضح الفرق للطلاب بين العزلة المفيدة، والانعزال الضار من خلال الأنشطة التربوية، كالمناقشات الصفية، والأنشطة التمثيلية، وورش العمل عن التوازن النفسي، والملصقات التوعوية.

ب- تقدم بعض نماذج العزلة الإيجابية في مناهج التربية الدينية، كقصة أصحاب الكهف، وقصة سيدنا إبراهيم، وربط ذلك بواقع سلوك الطلاب، وتدعيم ذلك باستضافة إخصائي نفسي أو تربوي يشرح للطلاب بأسلوب مبسط.

ج-تعلم الطلاب كيفية تجنب الصحبة السيئة، أو الأفكار اللأخلاقية والمنحرفة، وأنها تعتبر في مثل تلك الحالات موقفًا أخلاقيًا نابعًا من العزلة الإيجابية.

٣- دور وسائل الإعلام

أ- تسلط الضوء على بعض النماذج والشخصيات التاريخية والمجتمعية التي استفادت من فترة العزلة في البحث، والإبداع ومراجعة الذات، ثم عادت وأسهمت في التغيير الاجتماعي، من خلال إنتاج الأفلام أو المسلسلات القصيرة، أو البرامج والإعلانات التوعوية.

ب- تركز على الإعلام القيمي من خلال البرامج الثقافية والدينية، والوثائقيات الهادئة، والمقالات الفكرية، التي تربط العزلة بالقيم الروحية والدينية، وتدعو الفرد إلي الهدوء والاعتزال المؤقت للتفكر في القيم والمباديء.

ج- تروج لثقافة البعد عن الضجيج الرقمي؛ بإنتاج الحملات التوعوية، ودمج هذه الثقافة في محتوى الأفلام والمسلسلات.

رابعًا- الرفض والمواجهة الواعية

١- دور الأسرة

أ- يطالب الآباء أبناهم بإبداء حلول وبدائل لما يرفضونه ويعترضون عليه، ويقبلون به، لما في ذلك من تنمية عقولهم وتفكيرهم.

ب-تدعم ميل الأبناء إلي الاستقلالية؛ بتقليل الاعتراض على بعض الأمور التي لا تعجبهم، والتي لا تشكل لهم ضررًا.

ج- يستخدم الآباء المدح والثناء على الأبناء عند اتخاذ موقف صحيح حتى لو كان مخالفًا لرأي الأغلبية.

د- تدرب الأبناء على قول "لا" بأسلوب مؤدب، وشرح وجهة نظره دون خوف أو سخرية، مما يشجعه على الرفض الواعي.

٢- دور المدرسة

أ- تتيح الفرصة للطلاب للتعبير عن آرائهم بحرية في القضايا المختلفة، بتنظيم مناظرات ومجموعات نقاش، أو مناقشة بعض المواقف اليومية التي تتطلب اتخاذ موقف (قبول أو رفض)، مما يشجع الطلاب على اتخاذ موقفًا صحيحًا، ومواجهة الخطأ بأسلوب تربوي.

ب-يعترض المعلم على الخطأ بأسلوب راقي ومهذب، ودون تعصب، حيث يُظهر ذلك احترامه لآرائهم الفردية والمستقلة.

ج- تخصص بعض الأنشطة الصفية أو الإذاعية لمناقشة قضايا عامة، وتشجيع الطلاب على التعبير عن الاتفاق أو الرفض بشكل متزن، واحترام رأي الأقلية، وتجنب فرض رأي الأغلبية.

٣- دور وسائل الإعلام

أ- تنتج برامج حوارية تقدم مناقشات متوازنة، تمنح مساحة لجميع الآراء للتعبير، حتى لو كانت مخالفة، مما يعزز أن الرفض هو مسئولية أخلاقية تجاه المجتمع، وليس خروجًا عنه.

ب-تسلط الضوء على بعض الشخصيات الواعية والملهمة التي رفضت الخطأ وواجهته بإيجابية ومسئولية، كالشخصيات الدينية: سيدنا إبراهيم، وسيدنا موسى، وسيدنا يوسف،...، والشخصيات العربية والمصرية: سعد زغلول، ورفاعة الطهطاوي، وطه حسين،...، والشخصيات العالمية: غاندي، ونيلسون مانديلا، ومارتن لوثر،...

خامسًا- بناء العقلية الناقدة

١- دور الأسرة

أ- تشجع الأبناء على التساؤل، والتفكير، والبحث، والتحليل قبل التصديق والحكم، بالإجابة على أسئلتهم بما يناسب كل مرحلة عمرية، وتعليمهم الفرق بين الآراء والحقائق.

ب-تجعل النقد الذاتي جزءًا من أسلوب حياة أفراد الأسرة، وربطه بالقيم الدينية، مما يساعدهم في تكوين مفهومهم عن الذات بشكل صحيح، وتبلور معالم الصواب والخطأ في أذهانهم، باعتراف الآباء بأخطأهم أمامهم في بيئة آمنة هادئة للنقاش.

ج- تستخدام النقد الإيجابي؛ الذي يركز على السلوك لا على الشخص.

٢- دور المدرسة

أ- يستخدم المعلم الأساليب التدريسية المتنوعة بدلاً من الأساليب التلقينية؛ كأسلوب التدريس الحواري والنقدي والتعاوني، والتي تنمي الاستقلالية في التفكير، والتمييز، والإدراك، والتفكير النقدي.

ب-يدرب المعلم طلابه على كيفية التفكير، واكتسابهم لمهاراته المختلفة؛ كالتعليل، والتفسير، والمقارنة، والتركيب، والتحليل، والاستنباط، والقدرة على التصنيف، بإتاحة فرص عملية وطرح مشكلات حياتية ومجتمعية تدفع الطلاب للتفكير والتقييم.

ج- يستمع المعلم إلي مشكلات الطلاب؛ حيث يعد ذلك أحد أسس التفكير النقدي الذي ينمي الإبداع والابتكار، لإتاحة الفرصة للتعبير عن الرأي، في بيئة آمنة وهادئة.

د- يتقبل المعلم لفكرة تقويم أداءه من جانب طلابه بموضوعية، ودون حرج؛ حيث يدربهم ذلك على تقبل النقد، وتكوين صورة ذهنية واضحة عن ذواتهم.

٣- دور وسائل الإعلام

أ- تدعم المحتوى التعليمي والتثقيفي كالبرامج الحوارية العميقة، والسلاسل الوثائقية، والمقالات الفكرية، التي تحفز التفكير النقدي.

ب-تواجه التنميط والانحياز الجماعي؛ بتسليط الضوء على القدوات والنماذج الفردية الواعية التي تميزت بتفكير مستقل ومواقف إيجابية، وكشفها عن خطورة الانسياق وراء الاتجاهات الجماهيرية دون فحص وتدقيق.

ج- تشجع المتابعين على المشاركة والتفاعل، من خلال المنصات والتعليقات، وتسمح بإبداء الآراء والانتقادات.

سادسًا- تنمية التفكير الإيجابي

١- دور الأسرة

أ- تتيح أكبر قدر ممكن من الحرية والاختيار للأبناء في أمورهم الشخصية، مما يشجعهم على اتخاذ قرارات مستقلة، وتنمية روح المبادرة والإيجابية.

ب-تحقق التوازن في استخدام أساليب التربية؛ بتجنب الأساليب الخشنة، والتعسف أو التسيب، بحيث يتشكل لدى الأبناء أسلوب السلطة القائم على الكفاءة والقوامة والعدل لا السيطرة والتعنيف، والتبعية والانقياد بسلبية دون تفكير.

ج- تتبني استخدام أسلوب المصارحة والمكاشفة في التعامل مع الأبناء، مما يشجعهم على التعبير عن أفكارهم بثقة.

د- تهيئ بيئة هادئة وآمنة داخل المنزل؛ مما يجعل أفكار الأبناء تنحو إلي الإيجابية وتتسم بالتفاؤل والأمل والثقة بالله، وغرس رؤية إيجابية تجاه الحياة.

٢- دور المدرسة

أ- يبث المعلم الطاقة الإيجابية في نفوس طلابه؛ والتي تنعكس على نظرتهم للمجتمع والحياة، وذلك بتمتعه بالحلم وسعة الصدر، والانضباط الانفعالي، وبناء علاقة إيجابية بينهم.

ب-تتخذ المدرسة الوسائل اللازمة لتعميق قيم الاحترام والتقدير، وإعادة هيبة المعلم وصورته في العقل الجمعي السائد لدى الطلاب، وتُشعر الطالب بالتقدير والاحترام، مما يعزز ثقته بنفسه، ويزيد من تفاؤله بالحياة.

ج- يستخدم المعلم استراتيجيات تعزيز التفكير الإيجابي مثل العصف الذهني، والتعلم القائم على حل المشكلات، مما يُخرج الطلاب من دائرة السلبية إلي المشاركة الفعالة.

د- تهتم المدرسة بالأنشطة التربوية اللاصفية المختلفة؛ كالصحافة المدرسية، والمشاريع الجماعية، والبرلمان الطلابي، ومجموعات الألعاب، والرحلات النقاشية، والأعمال الدرامية، فهي تحفز على الثقة بالنفس، والتواصل الفعال، وتحمل المسئولية، والعمل الجماعي، والمرونة، وحل المشكلات، والقدرة على اتخاذ القرارات.

٣- دور وسائل الإعلام

أ- تنشر المحتوى الإيجابي من خلال تقديم النماذج الإيجابية الناجحة، وإبراز القدوات الصالحة، والقصص الملهمة؛ التي تعزز روح التفاؤل والأمل.

ب-تواجه السلبية والتشاؤم؛ بدورها الإيجابي في تفنيدها للشائعات والأفكار والأخبار الكاذبة، وتقديم صورة واقعية غير محبطة، مما يقلل من انتشار الخوف والسلبية بين أفراد المجتمع.

ج- ترسخ القيم الأخلاقية والاجتماعية عبر المسلسلات والإعلانات والبرامج الحوارية؛ كالتسامح، والحوار، واحترام الآخرين، والتعاون.

يتضح مما سبق عرضه، أن بناء العقل الجمعي الواعي لا يتم بصورة عشوائية، بل يعتمد على تكامل المؤسسات التربوية، تبدأ بالأسرة، وتصل إلي وسائل الإعلام، من خلال ترسيخ وتعليم القيم، وتوجيه التفكير النقدي، وبناء الاتجاهات الإيجابية، وتعزيز ثقافة الحوار البناء، وهي جميعها مقومات أساسية لعقل جمعي لا ينقاد وراء العاطفة أو الشائعة، بل يُبنى على التفكير والمشاركة الواعية.

مصادر ومراجع البحث

ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤). تفسير التحرير والتنوير، جـ (١١، ١٩، ٢٠، ٢١، ، ٢٣، ٢٧) الدار التونسية للنشر، تونس.

ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (١٩٨٣). لسان العرب، م ١١، دار صادر، بيروت.

أبو العينين، علي خليل مصطفى. (١٩٨٦). الفكر التربوي الإسلامي :مصادره- معطياته- حركته، رسالة الخليج العربي، س ٦ ، ع ١٧، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض (ص ص ٢٧- ٨٣).

ـــــــــــ (١٩٨٧). التربية الإسلامية والتنمية، رسالة الخليج العربي، س ٧ ، ع ٢٢، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض (ص ص ٤٩- ٦٨).

الترمذي، محمد بن عيسى بنُ سَوْرَةَ (١٩٩٦). سنن الترمذي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

البدراني، هشام عبد الكريم (٢٠٢١). عوامل تشكيل العقل الجمعي للشعوب –الموانع والحل–، مجلة حضارة، ٢١ أغسطس، مركز الأمة للدراسات والتطوير، العراق (ص ص ١–٢٠).

بكار، عبد الكريم (٢٠٠٣). جدد عقلك: خمسة وعشرون مفهومًا لتحديث الذهنية، دار الإعلام للنشر والتوزيع، عمّان.

ـــــــ (٢٠٠٩). خطوة نحو التفكير القويم: ثلاثون ملمحًا في أخطاء التفكير وعيوبه، دار الإعلام للنشر والتوزيع، عمّان.

ـــــــ (٢٠١٠). تكوين المفكر: خطوات عملية، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

ـــــــ (٢٠١٢). تأسيس عقلية الطفل، ط٢، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض.

بونو، إدوارد دي (٢٠٠٨). برنامج الكورت لتعليم التفكير: الإبداع، ترجمة: دينا عمر فيضي ج٤، دار الفكر، عمَّان.

عمار، حامد (٢٠٠٧). نحو دليل شامل في تأصيل علم تعليم الكبار، آفاق جديدة فى تعليم الكبار، ع ٨٠، مركز تعليم الكبار، جامعة عين شمس، القاهرة، (ص ص ٧٤– ٨٠).

جابر، جابر عبد الحميد، وكفافي، علاء الدين (١٩٨٨). معجم علم النفس والطب النفسي، ج١، دار النهضة العربية، القاهرة.

جبار، عبد الجبار (٢٠٢١). اختراق الوعي الجمعي واستدامة الاستبداد في الوطن العربي، دراسات (١)، مركز المجدد للبحوث والدراسات، اسطنبول (ص ص ٣– ٢١).

الجزائري، أبي بكر جابر (٢٠٠٢). أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

الجوهري، نبيل محمد إبراهيم، ومحمود، المثني عبد الفتاح، والفيفي، عمر حسن (٢٠٢٠). الفروق الدلالية بين لفظ الجماعة والألفاظ المشتركة معها في جزء معناها في اللغة العربية والقرآن الكريم، المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنين، ع ٨، جامعة الأزهر، دمياط الجديدة، (ص ص ٦٧٠– ٧٠٧).

الحزامي، نوف عبد اللطيف (٢٠٢١). مواقع التواصل الاجتماعي والعقل الجمعي، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، م ٢١، ع ٢، جامعة الزرقاء، الأردن (٣٨١– ٣٩٤).

حسين، محمد أحمد (٢٠١٠). مكانة العقل في القرآن والسنة، المؤتمر العام الثاني والعشرين للشؤون الإسلامية: مقاصد الشريعة وقضايا العصر، وزارة الأوقاف المصرية، في الفترة من ٢٢ إلي ٢٥ فبراير، (ص ص ١-٣٢).

حسين، حلا لطيف، والشمري، علياء جواد (٢٠٢٠). ماهية التطبيقات التربوية العملية بالنسبة للطالب/ المعلم من خريجي كليات التربية الأساسية، المجلة العربية للتربية النوعية، م ٤، ع ١٣، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، القاهرة (ص ص ١٩١- ٢٢٨).

حنايشة، عبد الوهاب محمود إبراهيم (٢٠٠٩). التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

حوامده، مصطفى محمود (٢٠٠٣). مهمة القرآن الكريم في تنمية التفكير المنظومي لدى الإنسان، مجلة جامعة دمشق، م ١٩، ع ٢، (ص ص ٥٧٥- ٦١٤).

دوبلي، رولف (٢٠١٧). فن التفكير الواضح: ٥٢ خطأ في التفكير يجب عليك تجنبها، ترجمة: نيرمين الشرقاوي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة.

دوركايم، إميل (٢٠١١). قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة: محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ـــــ (١٩٨٢). في تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة: حافظ الجمالي، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت.

رجب، مصطفى. (١٩٩٦). التربية المجتمعية في ضوء القرآن، الوعي الإسلامي، ع ٣٧١، وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، الكويت (ص ص ٥٢- ٥٤).

ـــــ (٢٠٠٩). التربية السلوكية في ضوء القرآن الكريم، البيان، ع ٢٦١، المنتدى الإسلامي، لندن (ص ص ١٨- ٢١).

رضا، محمد رشيد (٢٠١١). تفسير القرآن الكريم "المشهور بتفسير المنار"، م (٢، ٨)، دار الكتب العلمية، بيروت.

الرواحنة، علي جمعة على، والخصاونه، عماد عبد الكريم (٢٠١٦). الوعي الجمعي حالة البناء الذاتي للمجتمع في السياق القرآني: دراسة موضوعية، دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردينة، م ٤٣، (ص ص ١٠٩٥- ١١٠٧).

الزحيلي، وهبة (٢٠٠١). التفسير الوسيط، ج١، دار الفكر، دمشق.
ـــــ (٢٠٠٩). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط ١٠، م (٨، ٩، ١١)، دار الفكر، دمشق.
زكريا، أبي الحسين أحمد بن فارس (١٩٩١). معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، م ٤، دار الجيل، بيروت.
زكي، أحمد بدوي (١٩٨٢). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (٢٠٠٢). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت.
الشهواني، حمدة خميس محمد (٢٠٢٢). بناء العقلية النقدية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدرسات الإسلامية، جامعة قطر.
الصالح، مصلح (١٩٩٩). قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.
طنطاوي، محمد سيد (١٩٩٧). التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
عبد الباقي، محمد فؤاد (١٩٤٥). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة.
عبد المنعم، عبد المنعم محيي الدين، وعبد الحليم، حنان جمال (٢٠٢٠). المفاهيم الحاكمة لبناء العقل البشري وكيفية استخدامها لإعادة بنائه، مجلة كلية التربية بطنطا، م ٨٠، ع ٤، (ص ص ٦٩- ٩٥).
عبد النبي، محمود رشاد محمد (٢٠١٠). العقل الفردي والعقل الجمعي وأثرهما في نفسية المدعو، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، م ٧، ع ٢٤، (ص ص ٥٦٣- ٦١١).
عجمية، حسين (٢٠٢٣). الإبداع الفكري ودوره في تحسين الوجود الاجتماعي، الموقف الأدبي، مج ٥٢، ع ٦٢٨، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
العقاد، عباس محمود (٢٠٠٧). التفكير فريضة إسلامية، ط ٦، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

علي، بروين حسين (٢٠٢٣). العقل الجمعي الالكتروني وأزمة الوعي دراسة تحليلة من منظور اجتماعي، حوليات آداب عين شمس، عدد أكتوبر- ديسمبر، م ٥١، (ص ص ٣٥٢- ٣٦٧).

علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٦). الفكر التربوي الإسلامي وتحديات المستقبل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

ـــــــ (٢٠٠٧). أصول التربية الإسلامية، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

ـــــــ (٢٠١١). من الأزمة إلي الإصلاح: العقل التربوي العربي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

الغنام، محمد عبد القوي شبل (٢٠٠١). حرية الإرادة وتربية الإرادة الحرة: دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية، مجلة التربية، ع ٩٩، جامعة الأزهر، (ص ص ٣٩- ٧٦).

ـــــــــــــ (٢٠٠١). مسئولية التربية والتربية المسئولة بين الواقع والمأمول: دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية، مجلة التربية، ع ١٠٠، جامعة الأزهر، (ص ص ١- ٥٨).

الغنام، محمد عبد القوي شبل، وعبد النبي، كمال عجمي حامد (2012) .منهج القرآن الكريم و تطبيقاته التربوية في تنمية التفكير ما وراء المعرفي: سورة يوسف أنموذجًا دراسة تحليلية، مجلة التربية، ع 147، ج ٢، جامعة الأزهر، (ص ص ٤٤٩- ٥٤٠).

فيريول، جيل (٢٠١١). معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة: أنسام محمد الأسعد، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت.

كار، نيكولاس (٢٠٢١). السطحيون: ما تفعله شبكة الإنترنت بأدمغتنا، ترجمة: وفاء م.يوسف، دار صفحة سبعة للنشر والتوزيع، السعودية.

الكومي، محسن (٢٠٢٠). معالجة القرآن الكريم لإشكاليات العقل الجمعي، المركز الديمقراطي العربي، ٥ سبتمبر.
https://democraticac.de/?p=69383

لو بون، غوستاف (١٩٩١). ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت.

مارشال، جوردون (٢٠٠٧). موسوعة علم الاجتماع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، ط٢، م ١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (١٩٧٩). تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ط ٣، ج٦، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

المجالي، محمد خازر(٢٠٠٥). مصطلح التفكر كما جاء في القرآن الكريم (دراسة موضوعية) ، مجلة الشريعة والقانون، ع ٢٣، الجامعة الأردنية، (ص ص ٢١- ٩٤).

المرصفي، محمد علي محمد (١٩٨٣). الغزو الثقافي للمجتمع الاسلامي وموقف التربية الاسلامية إزاءه، التضامن الإسلامي، س ٣٧، ج ١٠، وزارة الحج، (ص ص ٣-٧).

ـــــــــــــــ (١٩٩٠). التربية العقلية في الإسلام: دراسة تحليلية، مجلة كلية التربية، ع ١١، جامعة طنطا، (ص ص ٢٤٤- ٢٦٢).

نخبة من العلماء (٢٠١٢). التفسير الميسر، دار الإسلام للنشر والتوزيع، القاهرة.

واعظ، محب الدين بن عبد السبحان (٢٠٠٦). التربية القرآنية وأثرها على الفرد والمجتمع، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

Anthony, R.,(2004). Beyond Positive Thinking "The Advanced Formula For Total Success", Morgan James Publishing, LLC.

Facione, p., (2013).Critical Thinking: What It is and Why it Counts, Measured Reasons and The California Academic Press, Millbrae, CA, pp. 1-28.

Luiz, M., (2024). The Collective Mind Approached Through the Prism of Beliefs, International Journal of History and Philosophical Research, Vol.12, No.1. pp.45-58.

World Development Report (2015). Mind, Society, and Behavior. International Bank for Reconstruction and Development, Washington.

Wilson, L., (2017). Art of Positive Thinking, Theeranaipunya II – Skill Enhancement and Capacity Development of Fisher Youth. ICAR-Central Marine Fisheries Research Institute, Kochi, pp. 121-125.

Yu, L., Nickerson, J., Sakamoto, Y., (2012). Collective Creativity: Where we are and where we might go, Proceedings of Collective Intelligence (CI2012), pp. 1-7.